

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ ٣٢ ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۚ﴾
 ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ٣٣ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ﴾
 ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ﴾ ٣٤ ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ۚ﴾
 ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٣٥ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ﴾
 ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ﴾ ٣٦ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ۚ﴾
 ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ۚ﴾ ٣٧ ﴿اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ﴾
 ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ ۚ﴾
 ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ٣٨ ﴿قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ ۚ﴾
 ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ﴾ ٣٩ ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ٤٠

(فَمَنْ أَظْلَمُ) محذرا و مخبرا: - أنه لا أظلم و أشد ظلما (مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ)

إِْمَا : - ١- بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله ٢- أو بادعاء النبوة ٣- أو الإخبار بأن الله تعالى قال كذا،
 أو أخبر بكذا، ٤- أو حكم بكذا و هو كاذب، فهذا داخل في قوله تعالى: - (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)
 إن كان جاهلا و إلا فهو أشنع و أشنع.

(وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ)

ما أظلم ممن جاءه الحق المؤيد بالبينات فكذبه، فتكذيبه ظلم عظيم منه،
 لأنه رد الحق بعد ما تبين له، فإن كان جامعا بين الكذب على الله و التكذيب بالحق، كان ظلما على ظلم.

(أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ)

يحصل بها الاشتفاء منهم، و أخذ حق الله من كل ظالم و كافر.

(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ٣٢

(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) هو رسول الله ﷺ - الانبياء في قوله و عمله، فدخل في ذلك الأنبياء و من قام مقامهم،
 ممن صدق فيما قاله عن خبر الله و أحكامه، و فيما فعله من خصال الصدق.

(وَصَدَّقَ بِهِ ۖ) محمد ﷺ - الاتباع - المسلمون أي: - بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق،

و لكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله و أتى به
فلا بد في المدح من الصدق و التصديق،
فصدقه يدل على علمه و عدله، و تصديقه يدل على تواضعه و عدم استكباره.

(أُولَئِكَ) الذين وفقوا للجمع بين الأمرين

(هُمُ الْمُتَّقُونَ) فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق و التصديق به **(٣٣)**

(لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) من الثواب، مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر

(ذَلِكَ جَزَاءُ) الذين يعبدون الله كأنهم يروونه، فإن لم يكونوا يروونه فإنه يراهم **(الْمُحْسِنِينَ)** إلى عباد الله **(٣٤)**

(لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا) أى: ذنوبهم الصغار، بسبب إحسانهم و تقواهم،

(وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) بحسناتهم كلها

عمل الإنسان له ثلاث حالات:-

١- إما **أَسْوَأُ ٢- أو أَحْسَنُ ٣- أو لا أَسْوَأُ و لا أَحْسَنُ**. و القسم الأخير قسم المباحات

و ما لا يتعلق به ثواب و لا عقاب، و الأسوأ، المعاصي كلها، و الأحسن الطاعات كلها **(٣٥)**

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) محمداً ﷺ وعيد المشركين و كيدهم من أن ينالوه بسوء؟

(وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) من الأصنام و الأنداد أن تنالك بسوء، و هذا من غيهم و ضلالهم.

(وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) مَنِيعِ الْجَنَابِ لَا يُضَامُ، مَنِ اسْتَنَّادَ إِلَى جَنَابِهِ وَ لَجَأَ إِلَى بَابِهِ **(٣٦)**

(وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ)

لأنه تعالى الذي بيده الهداية و الإضلال، و هو الذي ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ) له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء، و بعزته يكفي عبده و يدفع عنه مكرهم

(ذِي أَنْتِقَامٍ) ممن عصاه، فاحذروا موجبات نقمته **(٣٧)**

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ) و لئن سألت هؤلاء الضلال الذين يخوفونك بالذين من دونه، و أقمت عليهم دليلاً من أنفسهم،

فقلت:- **(مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ)** لم يثبتوا لآلهتهم من خلقها شيئاً.

(لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) الذي خلقها وحده **(قُلْ)** لهم مقرراً عجز آلهتهم، بعد ما تبينت قدرة الله:-

(أَفَرَأَيْتُمْ) أخبروني (مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ) أي ضرر كان.

(هَلْ هُنَّ كَشَفَتْ ضُرَّوه) بإزالته بالكلية، أو بتخفيفه من حال إلى حال؟

(أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ) يوصل إلي بها منفعة في ديني أو دنيائي (هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِي) (هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِي)

○ و مانعاتها عني؟ سيقولون: لا يكشفون الضر و لا يمسكون الرحمة.

قل لهم بعد ما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، و أنه الخالق للمخلوقات، النافع الضار وحده، و أن غيره عاجز من كل وجه عن الخلق

و النفع و الضر، مستجلبا كفايته، مستدفعاً مكرهم و كيدهم:-

(قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ) يكفيني

(عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم و دفع مضارهم

فالذي بيده - وحده - الكفاية هو حسبي، سيكفيني كل ما أهتمني و ما لا أهتم به ٣٨

(قُلْ) لهم يا أيها الرسول:- (يَقْوِمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ)

على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، من عبادة من لا يستحق من العبادة شيئاً و لا له من الأمر شيء.

(إِنِّي عَمِلٌ) على ما دعوتكم إليه، من إخلاص الدين لله تعالى وحده (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) لمن العاقبة ٣٩

و (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) في الدنيا (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ) في الأخرى

(عَذَابٌ مُّقِيمٌ) لا يحول عنه و لا يزول، و هذا تهديد عظيم لهم، و هم يعلمون أنهم المستحقون للعذاب المقيم

و لكن الظلم و العناد حال بينهم و بين الإيمان ٤٠

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْتْ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

(إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ)

فى:- أخبراره و أوامره و نواهيه، الذي هو مادة الهداية، و بلاغ لمن أراد الوصول إلى الله و إلى دار كرامته، و أنه قامت به الحجة على العالمين.

(فَمَنِ اهْتَكَيْتْ) بنوره و اتبع أوامره (فَلِنَفْسِهِ) فإن نفع ذلك يعود إلى نفسه

(وَمَنْ ضَلَّ) بعدما تبين له الهدى (فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) لا يضر الله شيئاً

(وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)

تحفظ عليهم أعمالهم و تحاسبهم عليها، و تجبرهم على ما تشاء، و إنما أنت مبلغ تؤدي إليهم ما أمرت به ﴿٤١﴾

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) و هذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت.

و إخباره أنه يتوفى الأنفس و إضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت و أعوانه

كما قال تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار أنه الخالق المدبر

و يضيفها إلى أسبابها، باعتبار أن من سننه تعالى و حكمته أن:- جعل لكل أمر من الأمور سبباً.

(وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)

و هذه الموتة الصغرى، أي: و يمسك النفس التي لم تمت في منامها،

(فَيُمْسِكُ) من هاتين النفسين النفس

(الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ) و هي نفس من كان مات، أو قضى أن يموت في منامه.

(وَيُرْسِلُ) النفس (الْآخِرَةَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى استكمال رزقها و أجلها.

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) على كمال اقتداره، و إحيائه الموتى بعد موتهم ﴿٤٤﴾

و فى هذه الآية:-

١- دليل على أن الروح و النفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن،

٢- و أنها مخلوقة مدبرة، يتصرف الله فيها في الوفاة و الإمساك و الإرسال،

٣- و أن أرواح الأحياء و الأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتحدث،

فيرسل الله أرواح الأحياء، و يمسك أرواح الأموات.

(أَمْ آتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ)

ينكر تعالى، على من اتخذ من دونه شفعاء يتعلق بهم و يسألهم و يعبدهم.

(قُلْ) لهم - مبينا جهلهم، و أنها لا تستحق شيئا من العبادة:-

(أَوَلَوْ كَانُوا) من اتخذتم من الشفعاء

(لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) لا مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض، و لا أصغر من ذلك و لا أكبر،

(وَلَا يَعْقِلُونَ) بل و ليس لهم عقل، يستحقون أن يمدحوا به، لأنها جمادات من أحجار و أشجار و صور

و أموات فهل يقال: إن لمن اتخذها عقلا؟ أم هو من أضل الناس و أجهلهم و أعظمهم ظلما؟ ﴿٤٥﴾

(قُلْ) لهم: (لِللَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا) لأن الأمر كله لله. و كل شفيع فهو يخافه،

و لا يقدر أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه فإذا أراد رحمة عبده، أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع، رحمة بالاثنيين.

○ ثم قرر أن الشفاعة كلها له بقوله (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

جميع ما فيهما من الذوات و الأفعال و الصفات فالواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها، و تخلص له العبادة.

(ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فيجازي المخلص له بالثواب الجزيل، و من أشرك به بالعذاب الويل ﴿٤٦﴾

○ يذكر تعالى حالة المشركين، و ما الذي اقتضاه شركهم أنهم

(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ) توحيدا له، و أمر بإخلاص الدين له، و ترك ما يعبد من دونه،

(أَسْمَأَزَّتْ) انقبضت و ينفرون، و يكرهون ذلك أشد الكراهة

(قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) كقوله: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} [الصافات: ٣٥]
عَنِ الْمَتَابَعَةِ وَ الْإِنْقِيَادِ لَهَا. فَقُلُوبُهُمْ لَا تَقْبَلُ الْخَيْرَ، وَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الْخَيْرَ يَقْبَلِ الشَّرَّ

(وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) من الأصنام و الأنداد، و دعا الداعي إلى عبادتها و مدحها

(إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) بذلك، فرحا بذكر معبوداتهم، و لكون الشرك موافقا لأهوائهم ﴿٤٥﴾

(قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما و مدبرهما

(عَلِمَ الْغَيْبِ) الذي غاب عن أبصارنا و علمنا

(وَالشَّهَادَةِ) الذي نشاهد (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (

فِي دُنْيَاهُمْ سَتَفَصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ وَ نُشُورِهِمْ، وَ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ ﴿٤٦﴾

(وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ) ليفتدوا به

(مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ) و ينجوا منه، ما قبل منهم، و لا أغنى عنهم من عذاب الله شيئا

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ)

يظنون من السخط العظيم، و المقت الكبير، و قد كانوا يحكمون لأنفسهم بغير ذلك.

وَ ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ وَ النَّكَالِ بِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي بَالِهِمْ وَ لَا فِي حِسَابِهِمْ ﴿٤٧﴾

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

(وَبَدَأَ) ظهر (لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) الأمور التي تسوؤهم، بسبب صنيعهم و كسبهم (وَحَاقَ) أحاط (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) من الوعيد و العذاب الذي نزل بهم، و ما حل عليهم العقاب ﴿٤٨﴾ (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ) يخبر تعالى عن حالة الإنسان و طبيعته، أنه حين يمسّه ضرر، من: - ممرض أو شدة أو كرب.

(دَعَانَا) ملحا في تفريج ما نزل به (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا) أعطيناه (نِعْمَةً مِنَّا) فكشفنا ضره و أزلنا مشقته، عاد بربه كافرا، و لمعروفه منكرا و (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) أي: علم من الله، أي له أهل، و أني مستحق له، لأنني كريم عليه
○ أو على علم مني بطرق تحصيله.

قال الله (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) يبتلي الله به عباده لينظر من يشكره ممن يكفره.

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) لجهلهم و سوء ظنهم (لَا يَعْلَمُونَ)

* أَن ذَٰلِكَ:-

١- استدراج لهم من الله،

٢- و امتحان لهم على شكر النعم.

○ فلذلك يعدون الفتنة منحة و يشتهه عليهم الخير المحض، بما قد يكون سببا للخير أو للشر ﴿٤٩﴾

قال تعالى:- (قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي: قولهم (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ)

فما زالت متوارثة عند المكذبين، لا يقرون بنعمة ربهم، و لا يرون له حقا، فلم يزل دأبهم حتى أهلكوا،

(فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ) حين جاءهم العذاب (مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الأموال و الاولاد ﴿٥٠﴾

(فَأَصَابَهُمْ) كما أصاب أولئك (سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أي:- العقوبات لأنها تسوء الإنسان و تحزنه

(وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا)

فليسوا خيرا من أولئك، و لم يكتب لهم براءة في الزبر

(وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) و ما هم بفائتين الله و لا سابقيه ﴿٥١﴾

(أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ) و لما ذكر أنهم اغتروا بالمال، و زعموا - بجهلهم - أنه يدل على حسن حال صاحبه،

أخبرهم تعالى:- أن رزقه، لا يدل على ذلك، و أنه (يَبْسُطُ) (يُوسِعُ) (الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ)

من عباده، سواء كان صالحا أو طالحا (وَيَقْدِرُ) الرزق، أي:- يضيقه على من يشاء، صالحا أو طالحا، فرزقه مشترك بين البرية، و الإيمان و العمل الصالح يخص به خير البرية

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) لعبرا و حججا (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أي: بسط الرزق و قبضه، لعلمهم أن مرجع ذلك،

عائد إلى الحكمة و الرحمة، و أنه أعلم بحال عبده، فقد يضيّق عليهم الرزق:-

١- **لطفًا بهم**، لأنه **لو بسطه لبغوا في الأرض**،

٢- **فيكون تعالى مراعيًا في ذلك صلاح دينهم** الذي هو مادة سعادتهم و فلاحهم ﴿٥٢﴾

* يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه، و يحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال:-

(قُلْ) يا أيها الرسول و من قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبرا للعباد عن ربهم:-

(يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ)

باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، و السعي في مساخط علام الغيوب.

(لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة،

و تقولوا قد كثرت ذنوبنا و تراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها و لا سبيل يصرفها،

فبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن،

و لكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه و جوده،

(إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) و اعلّموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، و القتل، و الزنا، و الربا، و الظلم، و غير ذلك من الذنوب الكبار و الصغار.

(إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أي: -وصفه المغفرة و الرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما ﴿٥٣﴾

(وَأَنِيبُوا) ارجعوا الى الله و استسلموا (إِلَىٰ رَبِّكُمْ) بقلوبكم (وَأَسْلِمُوا لَهُ) بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة: - دخلت فيها أعمال الجوارح، و إذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا.

(مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ) مجيئا لا يدفع (ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) ﴿٥٤﴾

فكأنه قيل: ما هي الإنابة و الإسلام؟ و ما جزئياتها و أعمالها؟

فأجاب تعالى بقوله: (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ)

مما أمركم من الأعمال الباطنة: - كمحبة الله، و خشيته، و خوفه، و رجائه،

و النصح لعباده، و محبة الخير لهم، و ترك ما يضاد ذلك.

و من الأعمال الظاهرة: - كالصلاة، و الزكاة و الصيام، و الحج، و الصدقة، و أنواع الإحسان،

و نحو ذلك، مما أمر الله به، و هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا،

فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور و نحوها هو المنيب المسلم

(مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً) فجأة (وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) و أنتم لا تعلمون به ﴿٥٥﴾

ثم حذرهم (أَنْ) يستمروا على غفلتهم، حتى يأتيهم يوم يندمون فيه، و لا تنفع الندامة.

و (تَقُولُ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) أي: في جانب حقه.

(وَلَإِنْ كُنْتُ) في الدنيا (لَمِنَ السَّخِرِينَ) في إتيان الجزاء، حتى رأيت عيانا ﴿٥٦﴾

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَأً يَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَنُجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴿٦٧﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)

« لو » في هذا الموضع للتمني، أي: -ليت أن الله هداني فأكون متقيا له، فأسلم من العقاب و أستحق الثواب،

(أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ) و تجزم بوروده (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ﴿٥٨﴾

قال تعالى: -إن ذلك غير ممكن و لا مفيد، و إن هذه أمني باطلة لا حقيقة لها

(بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَأً يَتِي) الدالة دلالة لا يمتري فيها على الحق (فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ) عن اتباعها

(وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) فسؤال الرد إلى الدنيا، نوع عبث ﴿٥٩﴾

(وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ) بكذبهم و افترائهم

و الكذب على الله يشمل:-

١-الكذب عليه باتخاذ الشريك و الولد و الصاحبة ٢-و الإخبار عنه بما لا يليق بجلاله.

٣-أو ادعاء النبوة ٤-أو القول في شرعه بما لم يقله و الإخبار بأنه قاله و شرعه.

يخبر تعالى عن خزي الذين كذبوا عليه، و أن (وُجُوهُهُم) يوم القيامة

(مُّسْوَدَّةٌ) كأنها الليل البهيم (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) عن الحق، و عن عبادة ربهم ﴿٦٧﴾

و لما ذكر حالة المتكبرين، ذكر حالة المتقين فقال:- (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَاقَاتِهِمْ)

بنجاتهم، و ذلك لأن معهم آلة النجاة، و هي تقوى الله تعالى، التي هي العدة عند كل هول و شدة

(لَا يَمَسُّهُمْ الشَّوْءُ) العذاب الذي يسوؤهم (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما فاتهم من حظوظ الدنيا ﴿٦٦﴾

يخبر تعالى عن عظمته و كماله، الموجب لخسران من كفر به فقال:- (اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ط)

هذه العبارة و ما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تدل على:-

أن جميع الأشياء - غير الله - مخلوقة، ففيها رد على كل من قال بقديم بعض المخلوقات، كالفلاسفة القائلين بقديم الأرض و السماوات، و كالقائلين بقديم الأرواح، و نحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه. و ليس كلام الله من الأشياء المخلوقة، لأن الكلام صفة المتكلم، و الله تعالى بأسمائه و صفاته أول ليس قبله شيء،

(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) و هو على كل شيء حفيظ يدبر جميع شؤون خلقه.

○ و أنه على كل شيء وكيل، و الوكالة التامة لا بد فيها من:-

١- **علم الوكيل**، بما كان وكيلاً عليه، و إحاطته بتفاصيله، ٢- و من قدرة تامة على ما هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه، ٣- و من حفظ لما هو وكيل عليه، ٤- و من حكمة، و معرفة بوجوه التصرفات، ليصرفها و يدبرها على ما هو الأليق، فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله، فما نقص من ذلك، فهو نقص فيها. و من المعلوم المتقرر أن الله تعالى منزّه عن كل نقص في صفة من صفاته فإخباره بأنه على كل شيء وكيل:-

١- يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، ٢- و كمال قدرته على تدبيرها، و كمال تدبيره،

٣- و كمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها. ﴿٦٧﴾

(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ط) **المَفَاتِيحُ بِالْفَارِسِيَّةِ** علما و تدبيراً- خزائن السموات و الأرض.

فلما بين من عظمته ما يقتضي أن تمتلئ القلوب له إجلالاً و إكراماً، ذكر حال من عكس القضية

فلم يقدره حق قدره، فقال:- (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَةِ اللَّهِ) الدالة على الحق اليقين و الصراط المستقيم.

(أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) خسروا ما به تصلح القلوب من:- التآله و الإخلاص لله

و ما به تصلح الألسن من:- إشغالها بذكر الله، و ما تصلح به الجوارح من:- طاعة الله ﴿٦٨﴾

(قُلْ) يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير الله:-

(أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) أي:- هذا الأمر صدر من جهلكم ﴿٦٩﴾

(وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) من جميع الأنبياء (لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ) لبيطلن (عَمَلُكَ)

(وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) دينك و آخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، و يستحق العقاب و النكال ﴿٦٥﴾

(بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ) لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، و أخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص

فقال:- (بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ) أخلص له العبادة وحده لا شريك له (وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لله على توفيق الله تعالى

فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، ك:-

١- صحة الجسم و عافيته ٢- و حصول الرزق و غير ذلك،

كذلك يشكر و يثنى عليه بالنعم الدينية، ك:- ١- التوفيق للإخلاص، ٢- و التقوى،

○ بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، و في تدبر أنها من الله تعالى و الشكر لله عليها:-

سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم،

و إلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.

[البخارى] ٤٨١١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:- جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:-

يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ:- أَنْ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ و الْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، و الشَّجَرِ عَلَى إصْبَعٍ، و الْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ، و سَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ

حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} ﴿٦٦﴾

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره، و لا عظموه حق تعظيمه

(وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ) في قبضته (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ) على سعتها و عظمها

(مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) تنزهه و تعظمه عن شركهم به ﴿٦٧﴾

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
 فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالشَّهَدَاءِ
 وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
 وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
 أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
 قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
 فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾
 وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ
 فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) و هو قرن عظيم فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام أحد الملائكة المقربين، و أحد حملة عرش الرحمن.
 (فَصَعِقَ) غشي أو مات (مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) كلهم لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها
 (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) ممن ثبته الله عند النفخة، فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم، و غيرهم و هذه النفخة الأولى: -
 نفخة الصعق، و نفخة الفزع.

(ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ) النفخة الثانية نفخة البعث (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) قد قاموا من قبورهم لبعثهم و حسابهم
 قد تمت منهم الخلقة الجسدية و الأرواح، و شخصت أبصارهم (يَنْظُرُونَ) ماذا يفعل الله بهم ﴿٦٨﴾
 (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) أَضَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا تَجَلَّى الْحَقُّ، تَبَارَكَ وَ تَعَالَى، لِلْخَلَائِقِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ
 (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) كتاب الأعمال و ديوانه، وضع و نشر، ليقراً ما فيه من الحسنات و السيئات
 (وَجِئَتْ بِالشَّهَدَاءِ) ليسألوا عن التبليغ، و عن أمهم، و يشهدوا عليهم
 (وَالشَّهَدَاءِ) من الملائكة، و الأعضاء و الأرض (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ) العدل التام و القسط العظيم
 (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئاً بنقص ثواب أو زيادة عقاب (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) من خير أو شر
 (وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ) في الدنيا من طاعة أو معصية ﴿٦٩﴾

(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) سوقا عنيفا، يضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد (إِلَى جَهَنَّمَ) (زُمَرًا) فرقا متفرقة، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، و تشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضا، و يبرأ بعضهم من بعض (حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا) وصلوا إلى ساحتها (فُتِحَتْ) لهم أي:- لأجلهم (أَبْوَابُهَا) لقدومهم (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) مهنيين لهم بالشقاء الأبدي، و العذاب السرمدى و موبخين لهم (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ) من جنسكم تعرفونهم و تعرفون صدقهم، و تتمكنون من التلقي عنهم؟ (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم) التي أرسلهم الله بها، الدالة على الحق اليقين بأوضح البراهين. (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) و هذا يوجب عليكم اتباعهم و الحذر من عذاب هذا اليوم، باستعمال تقواه، و قد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟ (قَالُوا) مقرين بذنبهم، و أن حجة الله قامت عليهم:- (بَلَى) قد جاءتنا رسل ربنا بآياته و بيناته، و بينوا لنا غاية التبيين، و حذرونا من هذا اليوم (وَلَكِنَّ حَقَّتْ) وجبت (كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) بسبب كفرهم التي هي لكل من:-

١- كفر بآيات الله ٢- و جحد ما جاءت به المرسلون (٧١)

فاعترفوا بذنبهم و قيام الحجة عليهم ف— (قِيلَ) لهم على وجه الإهانة و الإذلال:-

(أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها و يوافق عملها

(خَالِدِينَ فِيهَا) أبدا، لا يظعنون عنها، و لا يفتر عنهم العذاب ساعة و لا ينظرون

(فَيُسْـَٔئِلُهُمُ الْمُقَرَّبُونَ) بسئس المقر النار مقرهم (أَلَمْ تَكُتَابُونَ) لأنهم تكبروا على الحق (٧٢)

ثم قال عن أهل الجنة:- (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ)

بتوحيده و العمل بطاعته، سوق إكرام و إعزاز، يحشرون وفدا على النجائب

(إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) جماعة بعد جماعة فرحين مستبشرين:- (الْمُقَرَّبُونَ، ثُمَّ الْأَبْرَارُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،

ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كُلُّ طَائِفَةٍ مَعَ مَنْ يُنَاسِبُهُمْ:- (الْأَنْبِيَاءُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الصَّادِقُونَ مَعَ أَشْكَالِهِمْ، وَ الشُّهَدَاءُ مَعَ أَضْرَابِهِمْ، وَ الْعُلَمَاءُ مَعَ أَقْرَانِهِمْ وَ كُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفٍ،

(حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا) وصلوا لتلك الرحاب الرحبية و المنازل الأنيقة، و هبَّ عليهم ريحها و نسيمها،

(وَفُتِحَتْ) لهم (أَبْوَابُهَا) فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) تهنئة لهم و ترحيبا:-

(سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) سلام من كل آفة و شر حال عليكم (طِبْتُمْ) طابت قلوبكم بمعرفة الله و محبته و خشيته،

و ألسنتكم بذكره، و جوارحكم بطاعته (**ف**) بسبب طيكم (**فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**) لأنها الدار الطيبة، و لا يليق بها إلا الطيبون

○ و قال في النار:-

(**فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**) و في الجنة (**وَفُتِحَتْ**) بالواو، إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها، فتحت لهم أبوابها من غير إنظار و لا إمهال

○ و أما الجنة:-

فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها و لا ينالها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها، و مع ذلك:- فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها بل يستشفعون إلى الله بمحمد ﷺ حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى ﴿٧٣﴾

(**وَقَالُوا**) عند دخولهم فيها و استقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم و منّ عليهم و هداهم:-

(**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ**)

وعدنا الجنة على ألسنة رسله، إن آمنا و صلحنا،

فوفّى لنا بما وعدنا، و أنجز لنا ما منّا كما دَعَا في الدُّنْيَا:-

{ **رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ** } [آلِ عِمْرَانَ: ١٩٤]

(**وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ**) أرض الجنة

(**نَتَّبِعُ أَهْلَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ**)

ننزل منها أي مكان شئنا، و نتناول منها أي نعيم أردنا، ليس ممنوعا عنا شيء نريده

(**فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ**) الذين اجتهدوا بطاعة ربهم، في زمن قليل منقطع، فنالوا بذلك خيرا عظيما باقيا مستمرا ﴿٧٤﴾

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سورة غافر- بسم الله الرحمن الرحيم

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ
وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾

(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ) أيها الرائي ذلك اليوم العظيم (حَافِينَ) محيطين (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ)

أي: قد قاموا في خدمة ربهم، و اجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله.

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون و ما لم ينسبوا.

(وَقَضَىٰ بَيْنَهُم) بين الأولين و الآخرين من الخلق (بِالْحَقِّ) الذي لا اشتباه فيه و لا إنكار، ممن عليه الحق

(وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) لم يذكر القائل من هو [بَلْ أَطْلَقَهُ] ليدل ذلك على :-

أن جميع الخلق-ناطقه و بهيمه- نطقوا بحمد ربهم و حكمته على ما قضى به على أهل الجنة و أهل النار

حمد:- فضل و إحسان و حمد:- عدل و حكمة.

*** قَالَ قَتَادَةُ: افْتَتَحَ الْخَلْقُ بِالْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ:- { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ } [الأنعام: ١]

وَ اخْتَتَمَ بِالْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ: { وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

سورة غافر- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حَمَّ ①) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ)

يخبر تعالى عن كتابه العظيم و بأنه صادر و منزل من الله، المألوه المعبود، لكماله و انفراده بأفعاله،

(الْعَزِيزِ) الذي قهر بعزته كل مخلوق (الْعَلِيمِ) بكل شيء ②

(غَافِرِ الذَّنْبِ) للمذنبين

(وَقَابِلِ التَّوْبِ) من التائبين، (شَدِيدِ الْعِقَابِ) على من تجرأ على الذنوب و لم يتب منها،

(ذِي الطَّوْلِ) (الفضل و الإحسان الشامل

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) لَا نَظِيرَ لَهُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (الْمَرْجِعُ ③)

(مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ) يخبر تبارك و تعالى أنه ما يجادل في آياته

(إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) و المراد بالمجادلة هنا: -

المجادلة لرد آيات الله و مقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار،

(فَلَا يَغْرُوكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ) فِي أَمْوَالِهِمْ وَ نَعِيمِهَا وَ زَهْرَتِهَا-ترددهم فيها بأنواع التجارات و المكاسب،

و يزن بها الناس، و لا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم و لا عقل له. ④

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) وَ هُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ،

(وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ) من كل أمة ثم هدد من جادل بآيات الله ليطلها،

(و) أنه بلغت بهم الحال، و آل بهم التحزب إلى أنه (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ) من الأمم (بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) (

يقتلوه حَرَصُوا عَلَى قَتْلِهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ رَسُولَهُ

(وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ) مَاحَلُوا بِالشُّبْهَةِ (لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) لِيَرُدُّوا الْحَقَّ الْوَاضِحَ الْجَلِيَّ.

○ و لهذا قال في عقوبتهم الدنيوية و الأخروية:-

(فَأَخَذْنَاهُمْ) أَهْلَكْنَاهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ هَذِهِ الْآثَامِ وَ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ أي: بسبب تكذيبهم و تحزبهم

(فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) فكيف كان عقابي إياهم عبرة للخلق و عظة لمن يأتي بعدهم؟

○ كان أشد العقاب و أفظعه، ما هو إلا صيحة أو حاصب ينزل عليهم أو يأمر الأرض أن تأخذهم،

أو البحر أن يغرقهم فإذا هم خامدون ⑤

(وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا)

كما حقت على أولئك، حقت عليهم كلمة الضلال التي نشأت عنها كلمة العذاب

و لهذا قال: **(أَنْتُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)**

كَمَا حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْأَمَمِ السَّالِفَةِ كَذَلِكَ حَقَّتْ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُواكَ وَ خَالَفُواكَ يَا مُحَمَّدٌ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَ الْآخَرَى ﴿٦﴾

(الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ) عرش الرحمن، الذي هو سقف المخلوقات و أعظمها و أوسعها و أحسنها و أقربها من الله

(وَمَنْ حَوْلَهُ) من الملائكة المقربين في المنزلة و الفضيلة **(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)**

يَقْرَنُونَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ الدَّالِّ عَلَى نَفْيِ النَّقَائِصِ، وَ التَّحْمِيدِ الْمُقْتَضِي لِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْمَدْحِ
○ هذا مدح لهم بكثرة عبادتهم لله تعالى، و خصوصاً التسبيح و التحميد، و سائر العبادات تدخل في تسبيح الله و تحميده، لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره، و حمد له تعالى، بل الحمد هو العبادة لله تعالى،

(وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) خَاشِعُونَ لَهُ أَذِلَّةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ

(وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِمَّنْ آمَنَ بِالْغَيْبِ فَقَبِضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَلَائِكَتُهُ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَدْعُوا لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَ لَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ سَجَايَا الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ، كَانُوا يُؤْمِنُونَ عَلَى دَعَاءِ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:
٢٧٣٢- قال النبي ﷺ: إِذَا دَعَا الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ: - آمِينَ وَ لَكَ بِمِثْلِهِ.

(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) فعلمك قد أحاط بكل شيء، لا يخفى عليك خافية،

و لا يعزب عن علمك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، و لا أصغر من ذلك و لا أكبر،
و رحمتك وسعت كل شيء فالكون علويه و سفليه قد امتلأ برحمة الله تعالى و وسعتهم و وصل إلى ما وصل إليه خلقه.

(فَأَعِزِّلِ الَّذِينَ تَابُوا) من الشرك و المعاصي

(وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ) باتباع رسلك، بتوحيدك و طاعتك

(وَفِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (فهم العذاب نفسه، و فهم أسباب العذاب) ﴿٧﴾

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ^٨
 إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^٩ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ^٩
 وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^{١٠} إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ
 أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ^{١٠} قَالُوا رَبَّنَا أَتُنَادِينَا وَإِيتَانَا نُكْفِرُ
 فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ^{١١} ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ^{١١}
 وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ^{١٢} هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ
 السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ^{١٣} فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^{١٤}
 رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ^{١٥}
 يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى^{١٦} عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^{١٦}

(رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ) على السنة رسلك (وَمَنْ صَلَحَ) بالإيمان و العمل الصالح

(مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ) زوجاتهم و أزواجهن و أصحابهم و رفقاءهم (وَذُرِّيَّتِهِمْ) أولادهم

(إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) القاهر لكل شيء، فبعزتكَ تغفر ذنوبهم، و تكشف عنهم المحذور، و توصلهم بها إلى كل

خير (الْحَكِيمُ) الذي يضع الأشياء مواضعها^٨

(وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) الأعمال السيئة و جزاءها، لأنها تسوء صاحبها. (وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة

(فَقَدْ رَحِمْتَهُ) لأن رحمتك لم تزل مستمرة على العباد، لا يمنعها إلا ذنوب العباد و سيئاتهم،

فمن وقته السيئات وفاقته للحسنات و جزائها الحسن (وَذَلِكَ) زوال المحذور بوقاية السيئات، و حصول

المحسوب بحصول الرحمة (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) الذي لا فوز مثله^{١٠}

○ يخبر تعالى عن الفضيحة و الخزي الذي يصيب الكافرين، و سؤالهم الرجعة، و الخروج من النار،

و امتناع ذلك عليهم و توبيخهم، فقال: - (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) أطلقه ليشمل أنواع الكفر كلها، من :-

الكفر بالله، أو بكتبه، أو برسله، أو باليوم الآخر، حين يدخلون النار، و يقرون أنهم مستحقونها، لما فعلوه من الذنوب و الأوزار، فيمقتون أنفسهم لذلك أشد المقت، و يغضبون عليها غاية الغضب،

(يُنَادُونَ) يناديهـم خزنة جهنـم:- (لَمَقْتُ اللَّهِ) لكم في الدنيا - حين طلب منكم الإيمان به و اتباع رسله، فأبـيـتـم (أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ) بغضكم (أَنْفُسَكُمْ) الآن، بعد أن أدركتم أنكم تستحقون سخط الله و عذابه. (إِذْ نَدَعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ) (١٠)

و (قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ) يريدون الموتة الأولى و ما بين النفختين على ما قيل أو العدم المحض قبل إيجادهم، ثم أماتهم بعدما أوجدهم، (وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ) الحياة الدنيا و الحياة الأخرى- هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:- {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: ٢٨] (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ)

فهل لنا من طريق نخرج به من النار، و تعيدنا به إلى الدنيا لنعمل بطاعتك؟

○ أي: تحسروا و قالوا ذلك، فلم يقد و لم ينجع، و وبخوا على عدم فعل أسباب النجاة (١١)

فقليل لهم:- (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ) لتوحيده، و إخلاص العمل له، و نهي عن الشرك به (كَفَرْتُمْ) به و اشمأزت لذلك قلوبكم و نفرتم غاية النفور

(وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا) و إن يجعل الله شريك تُصدقوا به و تتبعوه.

(فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ) الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه:-

١- علو الذات ٢- و علو القدر ٣- و علو القهر

و من علو قدره:- ١- كمال عدله تعالى ٢- و أنه يضع الأشياء مواضعها، و لا يساوي بين المتقين و الفجار.

(الْكَبِيرِ) الذي له الكبرياء و العظمة و المجد في:- أسمائه و صفاته و أفعاله المتمتزة عن كل آفة و عيب (١٢)

(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) مطرًا به ترزقون و تعيشون أنتم و بهائمكم

(وَمَا يَتَذَكَّرُ) بالآيات حين يذكر بها

(إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) إلى الله تعالى، بالإقبال على محبته و خشيته و طاعته و التضرع إليه

فهذا الذي ينتفع بالآيات، و تصير رحمة في حقه و يزداد بها بصيرة (١٣)

○ و لما كانت الآيات ثمر التذكر، و التذكر يوجب الإخلاص لله رتب الأمر على ذلك بالفاء الدالة على

السببية فقال: (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)

و هذا شامل لـ:- ١- دعاء العبادة ٢- و دعاء المسألة

و الإخلاص معناه:- تخليص القصد لله تعالى في جميع العبادات الواجبة و المستحبة،

(حقوق الله و حقوق عباده) أي: أخلصوا لله تعالى في كل ما تدينونه به و تتقربون به إليه.

(وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) لذلك، فلا تبالوا بهم، و لا يشكم ذلك عن دينكم، و لا تأخذكم بالله لومة لائم،

فإن الكافرين يكرهون الإخلاص لله وحده غاية الكراهة ﴿١٤﴾

○ ثم ذكر من جلاله و كماله ما يقتضي إخلاص العبادة له فقال:- (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ)

و ارتفعت درجاته ارتفاعاً باين به مخلوقاته، و ارتفع به قدره، و جلت أوصافه، و تعالت ذاته، أن يتقرب إليه إلا بالعمل الزكي الطاهر المطهر، و هو الإخلاص، الذي يرفع درجات أصحابه و يقربهم إليه و يجعلهم فوق خلقه

(ذُو الْعَرْشِ)

أي: العلي الأعلى، الذي استوى على العرش و اختص به، ثم ذكر نعمته على عباده بالرسالة و الوحي، فقال:-

(يُلْقِي الرُّوحَ) الوحي الذي للأرواح و القلوب بمنزلة الأرواح للأجساد

فكما أن الجسد بدون الروح لا يحيا و لا يعيش، فالروح و القلب بدون روح الوحي لا يصلح و لا يفلح،

فهو تعالى (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ) الذي فيه نفع العباد و مصلحتهم

(عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) و هم الرسل الذين فضلهم الله و اختصهم الله لوحيه و دعوة عباده.

و الفائدة في إرسال الرسل، هو:-

١-تحصيل سعادة العباد في دينهم و دنياهم و آخرتهم ٢-و إزالة الشقاوة عنهم في دينهم و دنياهم و آخرتهم،

(لِنُنْذِرَ) من ألقى الله إليه الوحي يخوف العباد بذلك، و يحثهم على الاستعداد له بالأسباب المنجية مما يكون فيه

(يَوْمَ النَّالِقِ) يلتقي فيه الخالق و المخلوق و المخلوقون بعضهم مع بعض و العاملون و أعمالهم و جزاؤه ﴿١٥﴾

(يَوْمَ هُمْ بَدْرُؤُونَ) ^طظاهرون على الأرض، قد اجتمعوا في صعيد واحد لا عوج و لا أمت فيه

(لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) لا من ذواتهم و لا من أعمالهم، و لا من جزاء تلك الأعمال.

(لَمَنِ الْمُلْكُ) ^طمن هو المالك لذلك (الْيَوْمَ) العظيم الجامع للأولين و الآخرين،

الملك (لِلَّهِ الْوَاحِدِ) المنفرد في ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله، فلا شريك له في شيء منها بوجه من الوجوه.

(الْقَهَّارِ) لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات و ذلت و خضعت خصوصاً في ذلك اليوم الذي عنت

فيه الوجوه للحي القيوم، يومئذ لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴿١٦﴾

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾
 وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ﴿١٨﴾ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ ﴿١٩﴾
 يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢١﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
 وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ
 وَهَمْلَانَ وَقَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٦﴾

(الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) في الدنيا، من خير و شر، قليل و كثير

(لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ) على أحد، بزيادة في سيئاته، أو نقص من حسناته

(إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) لا تستبطئوا ذلك اليوم فإنه آت و كل آت قريب

و هو أيضا سريع المحاسبة لعباده يوم القيامة (يُحَاسِبُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ، كَمَا يُحَاسِبُ نَفْسًا وَاحِدَةً) ﴿١٧﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: - (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاقْتِرَابِهَا

(إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ)

قد ارتفعت و بقيت أفئدتهم هواء، و وصلت القلوب من الروع و الكرب إلى الحناجر، شاخصة أبصارهم.

(كَظِيمِينَ) سَاكِتِينَ- لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صوابا

(مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ) قريب و لا صاحب

(وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ) يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له.

لأن الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه بالشرك، و لو قدرت شفاعتهم، فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم،

فلا يقبلها. بَلْ قَدْ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ﴿١٨﴾

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) و هو النظر الذي يخفيه العبد من جليسه و مقارنه، و هو نظر المسارقة،

(وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) مما لم يبينه العبد لغيره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي ﴿١٦﴾

فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى و أخرى.

(وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) ٥

بالعدل- لأن قوله حق، و حكمه الشرعي حق، و حكمه الجزائي حق

(وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) ٦

و هذا شامل لكل ما عبد من دون الله [مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ]

(لَا يَقْضُونَ شَيْئًا) ٧

لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَ لَا يَحْكُمُونَ بِشَيْءٍ-لعجزهم و عدم إرادتهم للخير و استطاعتهم لفعله.

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ) لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

(الْبَصِيرُ) بما كان و ما يكون، و ما نبصر و ما لا نبصر، و ما يعلم العباد و ما لا يعلمون ﴿٢٠﴾

(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) بقلوبهم و أبدانهم سير نظر و اعتبار، و تفكر في الآثار

(فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ) من المكذبين، فسيجدونها شر العواقب،

عاقبة:- الهلاك و الدمار و الخزي و الفضيحة

(كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) و قد كانوا أشد قوة من هؤلاء في العدد و العدد و كبر الأجسام.

(و) أشد (وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ)

من البناء و الغرس، و قوة الآثار تدل على قوة المؤثر فيها و على تمنعه بها.

وَمَعَ هَذِهِ الْقُوَّةِ الْعَظِيمَةِ وَ الْبَأْسِ الشَّدِيدِ :-

(فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) بعقوبته (بِذُنُوبِهِمْ) حين أصروا و استمروا عليها-و هِيَ كُفْرُهُمْ بِرُسُلِهِمْ

(وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) و مَا دَفَعَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَحَدٌ، وَ لَا رَدَّهُ عَنْهُمْ رَادٌّ، وَ لَا وَقَاهُمْ وَاقٍ ﴿٢١﴾

○ ثُمَّ ذَكَرَ عَلَّةَ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ وَ ذُنُوبَهُمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا وَ اجْتَرَمُوهَا فَقَالَ:-

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا) مَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَ الْبُرْهَانِ كَفَرُوا وَ جَحَدُوا

(فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) أَهْلَكَهُمْ وَ دَمَّرَ عَلَيْهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا

(إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ) عِقَابُهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وَ جِيعٌ. أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ.

○ فلم تغن قوتهم عند قوة الله شيئاً، بل من أعظم الأمم قوة، قوم عاد الذين قالوا:- (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)

أرسل الله إليهم ريحا أضعفت قواهم، و دمرتهم كل تدمير ﴿٢٢﴾

○ ثم ذكر نموذجاً من أحوال المكذبين بالرسول و هو فرعون و جنوده فقال: -

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) إلى جنس هؤلاء المكذبين (مُوسَى) ابن عمران (بَيِّنَاتِنَا) العظيمة، الدالة دلالة قطعية،

على حقيقة ما أرسل به، و بطلان ما عليه من أرسل إليهم من الشرك و ما يتبعه

(وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)

حجة بينة، تتسلط على القلوب فتدعن لها كالحية و العصا و نحوهما من الآيات البينات،

التي أيد الله بها موسى، و مكنه مما دعا إليه من الحق و المبعوث إليهم ﴿٢٣﴾

(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ) (مَلِكُ الْقِبْطِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ) (وَهَمَنْ) وزيره (وَقُرُونٌ) و كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ مَالًا وَ تِجَارَةً

(فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ) (كَذَّبُوهُ وَ جَعَلُوهُ سَاحِرًا مُّخْرِقًا مُّمُوًّا كَذَّابًا فِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ) ﴿٢٤﴾

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا) و أيده الله بالمعجزات الباهرة، الموجبة لتمام الإذعان، لم يقابلوها بذلك،

و لم يكفهم مجرد الترك و الإعراض، بل و لا إنكارها و معارضتها بباطلهم، بل وصلت بهم الحال الشنيعة

إلى أن (قَالُوا أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ)

*** وَ هَذَا أَمْرٌ ثَانٍ مِنْ فِرْعَوْنَ بِقَتْلِ ذُكُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

أَمَّا الْأَوَّلُ:- فَكَانَ لِأَجْلِ الْإِحْتِرَازِ مِنْ وُجُودِ مُوسَى،

الثَّانِي:- أَوْ لِإِذْلالِ هَذَا الشَّعْبِ وَ تَقْلِيلِ عَدَدِهِمْ، أَوْ لِمَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ.

وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي:- فَلِلْعَلَّةِ الثَّانِيَةِ، لِإِهَانَةِ هَذَا الشَّعْبِ،

وَ لِكَيْ يَتَشَاءُوا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لِهَذَا قَالُوا:- {أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ

يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [الْأَعْرَافِ: ١٢٩]

(وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ)

الَّذِي هُوَ تَقْلِيلُ عَدَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لئَلَّا يُنْصَرُوا عَلَيْهِمْ

(إِلَّا فِي ضَلَالٍ)

ذَاهِبٌ وَ هَالِكٌ حَيْثُ لَمْ يَتَمَّ لَهُمْ مَا قَصَدُوا، بَلْ أَصَابَهُمْ ضِدُّ مَا قَصَدُوا، أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ وَ أَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ﴿٢٥﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ^{٢٧} إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ^{٢٨} وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ^{٢٩} وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ^{٣٠} وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ^{٣١} يَقَوْمِ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ^{٣٢} وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ^{٣٣} مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ^{٣٤} وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ^{٣٥} يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ^{٣٦} وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ^{٣٧}

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ) متكبراً متجبراً مغرراً لقومه السفهاء:-(ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ^{٢٧})

زعم أنه لولا مراعاة خواطر قومه لقتله، وأنه لا يمنعه من دعاء ربه،

ثم ذكر الحامل له على إرادة قتله، وأنه نصح لقومه، وإزالة للشر في الأرض

فقال:- (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) الذي أنتم عليه (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)

و هذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير الخلق

هذا من التمويه و الترويج الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم:-

(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)^{٢٨}

(وَقَالَ مُوسَى) حين قال فرعون تلك المقالة الشنيعة التي أوجبها له طغيانه،

و استعان فيها بقوته و اقتداره، مستعيناً بربه:-

(إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ) أيها المخاطبون أي:- امتنعت بربوبيته التي دبر بها جميع الأمور

(مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ) عن الحق مجرم (لَا يُؤْمِنُ) يحمله تكبره و عدم إيمانه

(بِیَوْمِ الْحِسَابِ) على الشر و الفساد، يدخل فيه فرعون وغيره، كما تقدم قريباً في القاعدة،

فمنعه الله تعالى بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب^{٢٩}

(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) (

و قىض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون و ملئه

و من جملة الأسباب:- هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة لا بد أن يكون له كلمة

مسموعة- فَأَخَذَتِ الرَّجُلَ غَضَبَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ- فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم

مقبحاً فعل قومه، و شناعة ما عزموا عليه:-

(أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا) كيف تستحلون قتله (أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) و لم يكن أيضا قولاً مجرداً عن البينات،

و لهذا قال:- (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهاراً علم به الصغير و الكبير

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل بأي حالة قدرت- تَنْزِلُ مَعَهُمْ فِي الْمُخَاطَبَةِ

فموسى بين أمرين:-

الاول:- (وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) إما كاذب في دعواه أو صادق فيها،

فإن كان كاذباً فكذبه عليه، و ضرره مختص به و ليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته و تصديقه،

الثاني:- (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا) و قد جاءكم بالبينات (يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) و هو عذاب الدنيا.

و هذا من حسن عقله، و لطف دفعه عن موسحيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم،

و جعل الأمر دائراً بين تينك الحالتين، و على كل تقدير فقتله سفه و جهل منكم.

ثم انتقل ﷺ و أرضاه و غفر له و رحمه - إلى أمر أعلى من ذلك،

و بيان قرب موسى من الحق فقال:-

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) متجاوز الحد بترك الحق و الإقبال على الباطل.

(كَذَّابٌ) بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله و لا في دليله،

و لا يوفق للصرط المستقيم ﴿٢٨﴾

ثم حذر قومه و نصحهم، و خوفهم عذاب الآخرة، و نهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر، فقال:-

(يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ) في الدنيا (ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ) على رعييتكم، تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير،

فهيكم حصل لكم ذلك و تم، و لن يتم، (فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ) عذابه

(إِنْ جَاءَنَا)؟ و هذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركاً بينه و بينهم بقوله:-

ف— (قَالَ فِرْعَوْنُ) معارضاً له في ذلك، و مغرراً لقومه أن يتبعوا موسى:

(مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) مَا أَقُولُ لَكُمْ وَ أَشِيرُ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَاهُ لِنَفْسِي وَ قَدْ كَذَبَ فِرْعَوْنُ،

فَإِنَّهُ كَانَ يَتَحَقَّقُ صِدْقَ مُوسَى فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ - فَإِنْ هَذَا قَلْبٌ لِلْحَقِّ

(وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) (الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرُّشْدُ) ٢٩

(وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ) مكرراً دعوة قومه غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى،

لا يزالون يدعون إلى ربهم، و لا يردهم عن ذلك راد، و لا يشيهم عتو من دعوه عن تكرار الدعوة

فقال لهم:- (يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ) (يعنى الأمم المكذبين الذين تحزبوا على أنبيائهم) ٣٠

ثم بينهم فقال:- (مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) ٣١

أي: مثل عادتهم في الكفر و التكذيب و عادة الله فيهم بالعقوبة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة

(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) (فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه، و لا جرم أسلفوه) ٣٢

○ و لما خوفهم العقوبات الدنيوية خوفهم العقوبات الأخروية فقال:- (وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ)

أي: يوم القيامة،

حين ينادي أهل الجنة أهل النار:- (أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا) [الاعراف: ٤٤]

و حين ينادي أهل النار:- (مَالِكًا لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) (يَقُولُ:-) (إِنَّكُمْ مَا كُثُنَ)

و حين ينادون ربهم:- (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) (فيجيهم:-) (اُخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)

و حين يُقال للمشرَكين:- (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ)

فخوفهم ﷻ هذا اليوم المهول، و توجع لهم أن أقاموا على شركهم بذلك ٣٣

و لهذا قال: (يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ) (ذاهبين هاربين) ○ أي:- قد ذهب بكم إلى النار

(مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) (من مانع يمنعكم و ناصر ينصركم من عذاب الله

(وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)

لأن الهدى بيد الله تعالى، فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به، لخبثه، فلا سبيل إلى هدايته ٣٤

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُنِ ابْنِي لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُغُ الْأَسْبَبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا ۚ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ ۖ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

(وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ) بن يعقوب عليهما السلام (مِنْ قَبْلُ) إتيان موسى (بِالْبَيِّنَاتِ) الدالة على صدقه، و أمركم بعبادة ربكم وحده لا شريك له -فَمَا أَطَاعُوهُ تِلْكَ السَّاعَةَ إِلَّا لِمَجَرَّدِ الْوِزَارَةِ وَ الْجَاهِ الدُّنْيَوِيِّ (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ) في حياته

(حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ) *مات (ازداد شككم و شرككم) -يَسْتَسْتَمُّ فَقُلْتُمْ طَامِعِينَ

(قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا)

أي: هذا ظنكم الباطل، و حسبانكم الذي لا يليق بالله تعالى، فإنه تعالى لا يترك خلقه سدى، لا يأمرهم و ينهاهم، و يرسل إليهم رسله، و ظن أن الله لا يرسل رسولا ظن ضلال و لهذا قال:- (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ)

و هذا هو وصفهم الحقيقي الذي وصفوا به موسى ظلماً و علواً،

فهم المسرفون بتجاوزهم الحق و عدولهم عنه إلى الضلال، و هم الكذبة، حيث نسبوا ذلك إلى الله، و كذبوا رسوله فالذي وصفه السرف و الكذب، لا ينفك عنهما، لا يهديه الله، و لا يوفقه للخير، لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه و عرفه،

فجزأوه أن يعاقبه الله، بأن يمنعه الهدى (مُرْتَابٌ) ارتياب قلبه -شاكٌ في وحدانية الله تعالى ﴿٣٤﴾

○ ثم ذكر وصف المسرف الكذاب فقال:- (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ) التي بينت الحق من الباطل،

و صارت - من ظهورها- بمنزلة الشمس للبصر، فهم يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها و يطلوها

(بَغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنْتَهُمْ) بغير حجة و برهان، و هذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله

فإنه من المحال أن يجادل بسلطان، لأن الحق لا يعارضه معارض فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي

أصلاً (كَبُرَ) ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل

(مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا)

فالله أشد بغضاً لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق و التصديق بالباطل و نسبته إليه،

و هذه أمور يشدد بغض الله لها و لمن اتصف بها و كذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت

موافقة لربهم، و هؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه،

و الْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا يُبْغِضُونَ مَنْ تَكُونُ هَذِهِ صِفَتُهُ فَإِنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ،

(كَذَلِكَ) كما طبع على قلوب آل فرعون

(يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ) يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، فَلَا يَعْرِفُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْرُوفًا، وَ لَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا

(مُتَكَبِّرٍ) في نفسه على الحق برده و على الخلق باحتقارهم،

(جَبَّارٍ) بكثرة ظلمه و عدوانه ﴿٣٥﴾

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ) معارضاً لموسى و مكذباً له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين الذي على العرش استوى و على

الخلق اعلى:- (يَهْتَمُّنَ ابْنُ لِي صَرَحًا)

بناء عظيمًا مرتفعًا- الْقَصْرُ الْعَالِي الْمُنِيفُ الشَّاهِقُ. وَ كَانَ اتَّخَاذُهُ مِنَ الْأَجْرِ الْمَضْرُوبِ مِنَ الطِّينِ الْمَشْوِيِّ

كَمَا قَالَ:- {فَأَوْقَدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا} [الْقَصَصِ: ٣٨]

(لَعَلِّي أَتْلُعَ الْأَسْبَاطَ) ﴿٣٦﴾ (أَسْبَابُ السَّمَوَاتِ) أَبْوَابُ السَّمَوَاتِ- و قيل:- طرق السَّمَوَاتِ

(فَأَطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا) في دعواه أن لنا رباً، و أنه فوق السماوات.

و لكنه يريد أن يحتاط فرعون، و يختبر الأمر بنفسه، قال الله تعالى في بيان الذي حمله على هذا القول:-

(وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ)

فزين له العمل السيئ، فلم يزل الشيطان يزينه و هو يدعو إليه و يحسنه، حتى رآه حسناً و دعا إليه و ناظر

مناظرة المحققين، و هو من أعظم المفسدين، (وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ) الحق، بسبب الباطل الذي زين له

(وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ) الذي أراد أن يكيد به الحق، و يوهم به الناس أنه محق، و أن موسى مبطل

(إِلَّا فِي تَبَابٍ) أي: خسار و بوار، لا يفيدته إلا الشقاء في الدنيا و الآخرة ﴿٣٧﴾

(وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ) معيداً نصيحته لقومه:-

(يَنْقُورِ أَنْتُمْ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ) لا كما يقول لكم فرعون فإنه لا يهديكم إلا طريق الغي و الفساد ﴿٣٨﴾

(يَنْقُورِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتْنٌ)

يتمتع بها و يتنعم قليلا ثم تنقطع و تضمحل، فلا تغرنكم و تخدعنكم عما خلقتكم له

(وَلِإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)

التي هي محل الإقامة و منزل السكون و الاستقرار فينبغي لكم أن تؤثروها، و تعملوا لها عملا يسعدكم فيها ﴿٣٩﴾

(مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً) من شرك أو فسوق أو عصيان

(فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا) لا يجازى إلا بما يسوؤه و يحزنه لأن جزاء السيئة السوء.

(وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى) من أعمال القلوب و الجوارح، و أقوال اللسان

(وَهُوَ مُؤْمِنٌ) بالله موحد له (فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)

أي: يعطون أجرهم بلا حد و لا عد، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم ﴿٤٠﴾

﴿٤١﴾ وَيَقَوْمٍ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤٢﴾ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقْرِ ﴿٤٣﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبْكَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٤﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٥﴾ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِحَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٨﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٥٠﴾

(وَيَقَوْمٍ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى) بما قلت لكم (وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ) بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام ﴿٤١﴾

ثم فسر ذلك فقال: (تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) أنه يستحق أن يعبد من دون الله، و القول على الله بلا علم من أكبر الذنوب و أقبحها،

(وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ) الذي له القوة كلها، و غيره ليس بيده من الأمر شيء

(الْفَقْرِ) الذي يسرف العباد على أنفسهم و يتجرؤون على مساخطه ثم إذا تابوا و أنابوا إليه، كفر عنهم السيئات و الذنوب، و دفع موجباتها من العقوبات الدنيوية و الآخروية. ﴿٤٦﴾

(لَا جَرَمَ) أي: -حقاً يقيناً (أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ) أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به

(لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ) لا يستحق من الدعوة إليه، و الحث على اللجأ إليه،

(فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ) لعجزه و نقصه، و أنه لا يملك نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة، و لا نشورا.

(وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) تعالى فسيجازي كل عامل بعمله. (وَأَبْكَ الْمُسْرِفِينَ)

و هم الذين أسرفوا على أنفسهم —:-

١- التجرؤ على ربهم بمعاصيه

٢- والكفر به، دون غيرهم.

(هُم أَصْحَابُ النَّارِ) (٤١)

فلما نصحهم و حذّرههم و أنذرهم و لم يطيعوه و لا وافقوه قال لهم: (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ) من هذه النصيحة، و سترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، و تحرمون جزيل الثواب.

(وَأَفْوَضْ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ) ألجأ إليه و اعتصم، و ألقى أموري كلها لديه، و أتوكل عليه في مصالحى و دفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم.

(إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)

يعلم أحوالهم و ما يستحقون، يعلم حالى و ضعفى فيمنعنى منكم و يكفينى شركم، و يعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته و مشيئته فإن سلطكم علىّ،

فبحكمة منه تعالى، و عن إرادته و مشيئته صدر ذلك (٤٢)

(فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا) وفى الله القوى الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق،

عقوبات ما مكر فرعون و آله له، ممن :- إرادة إهلاكه و إتلافه،

لأنه بادأهم بما يكرهون، و أظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام و دعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى،

(وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم (٤٣)

و في البرزخ :- (النَّارُ) ثم يُعَذَّبُونَ في قبورهم حيث النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا (صباحًا

(وَعَشِيًّا) و مساء إلى وقت الحساب (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ) يقال: أدخلوا آل فرعون

(أَشَدَّ الْعَذَابِ) النار-جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء و هذه الآية أصل في إثبات عذاب القبر (٤٤)

○ فهذه العقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسل الله، المعاندين لأمره.

يخبر تعالى عن تخاصم أهل النار، و عتاب بعضهم بعضاً و استغاثتهم بخزنة النار، و عدم الفائدة في ذلك

فقال :- (وَإِذْ يَتَحَايَرُونَ فِي النَّارِ) يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، و يتبرأ المتبوعون من التابعين

(فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ) الأتباع للقادة (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) على الحق، و دعوهم إلى ما استكبروا لأجله.

(إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) أنتم أغويتمونا و أضللتونا و زينتم لنا الشرك و الشر

(فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ) و لو قليلا

(قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) مبينين لعجزهم و نفوذ الحكم الإلهي في الجميع :-

(إِنَّا كُلٌّ فِيهَا) لا نتحمل عنكم شيئاً من عذاب النار، و كلنا فيها، لا خلاص لنا منها،

(إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ)

و جعل لكل قسطه من العذاب، فلا يزداد في ذلك و لا ينقص منه، و لا يغير ما حكم به الحكيم.

(وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ) من المستكبرين و الضعفاء

(لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ) لعله تحصل بعض الراحة.

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ ؕ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ؕ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

ف—(قَالُوا) لهم موبخين و مبيين أن شفاعتهم لا تنفعهم، و دعاءهم لا يفيدهم شيئاً:—

(أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) التي تبينتم بها الحق و الصراط المستقيم، و ما يقرب من الله و ما يبعد منه؟ قد جاءونا بالبينات، و قامت علينا حجة الله البالغة فظلمنا و عاندنا الحق بعد ما تبين.

(قَالُوا) أي: الخزنة لأهل النار، متبرئين من الدعاء لهم و الشفاعة:—

(فَادْعُوا) أنتم و لكن هذا الدعاء هل يغني شيئاً أم لا؟

(وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)

أي: باطل لاغ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال صاد لإجابة الدعاء—لَا يَتَقَبَّلُ وَلَا يَسْتَجَابُ ﴿٥٠﴾ لما ذكر عقوبة آل فرعون في الدنيا، و البرزخ، و يوم القيامة، و ذكر حالة أهل النار الفظيعة، الذين نابذوا رسله و حاربوهم، قال:—

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

بالحجة و البرهان و النصر، في الآخرة بالحكم لهم و لأتباعهم بالشواب،

و لمن حاربهم بشدة العقاب

***قَدْ أوردَ بَنُ جَرِيرٍ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} سُؤَالًا فَقَالَ: -

قَدْ عَلِمَ أَنَّ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ، قَتَلَهُ قَوْمُهُ بِالْكَلْبِيَّةِ كَيْحَى وَ زَكْرِيَّا وَ شُعْيَاءَ، وَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ إِمَّا مُهَاجِرًا كَأَبْرَاهِيمَ وَ إِمَّا إِلَى السَّمَاءِ كَعِيسَى فَأَيْنَ النُّصْرَةُ فِي الدُّنْيَا؟

ثُمَّ أَجَابَ عَنْ ذَلِكَ بِجَوَابَيْنِ :-

أحدهما:- أَنْ يَكُونَ الْخَبْرُ خَرَجَ عَامًّا، وَ الْمُرَادُ بِهِ الْبَعْضُ، قَالَ: وَ هَذَا سَائِغٌ فِي اللُّغَةِ.

الثاني:- أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالنَّصْرِ الْإِنْتِصَارُ لَهُمْ مِمَّنْ آذَاهُمْ، وَ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِحَضْرَتِهِمْ أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ

(وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) الْمَلَائِكَةُ -أو- يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ النُّصْرَةُ أَعْظَمَ وَ أَكْبَرَ وَ أَجَلَ ﴿٥١﴾

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ) وَ هم المشركون (مَعَذِرَتُهُمْ) حين يعتذرون -لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ عُذْرٌ وَ لَا فِدْيَةٌ

(وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) السيئة التي تسوء نازليها -هي النار- بِئْسَ الْمَنْزِلُ وَ الْمَقِيلُ -سُوءُ الْعَاقِبَةِ ﴿٥٢﴾

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى) لما ذكر ما جرى لموسى و فرعون، و ما آل إليه أمر فرعون و جنوده

ثم ذكر الحكم العام الشامل له و لأهل النار، ذكر أنه أعطى موسى (الْهُدَى) الآيات، و العلم الذي يهتدي به.

(وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ) أي: جعلناه متوارثًا بينهم، من قرن إلى آخر، و هو التوراة ﴿٥٣﴾

و ذلك الكتاب مشتمل على الـ (هُدَى) :- هو العلم بالأحكام الشرعية و غيرها،

(وَذَكَرْنَا) أي: التذكير للخير بالترغيب فيه، و عن الشر بالترهيب عنه، و ليس ذلك لكل أحد،

و إنما هو (لِأُولَى الْأَلْبَابِ) الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ السَّلِيمَةُ ﴿٥٤﴾

(فَأَصْبِرْ) يا أيها الرسول كما صبر من قبلك من أولي العزم المرسلين.

(إِنِّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) أي: ليس مشكوكًا فيه، أو فيه ريب أو كذب، حتى يعسر عليك الصبر،

و إنما هو الحق المحض، و الهدى الصرف، الذي يصبر عليه الصابرون، و يجتهد في التمسك به أهل البصائر.

***وَعَدْنَاكَ أَنَّا سَنُعَلِّي كَلِمَتَكَ، وَ نَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لَكَ وَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ،
وَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ. وَ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ حَقٌّ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ وَ لَا شَكَّ.

فقوله:- (إِنِّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) من الأسباب التي تحث على الصبر على طاعة الله و عن ما يكره الله.

(وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ) المانع لك من تحصيل فوزك و سعادتك،

فأمره بـ:- ١- **الصبر** الذي فيه يحصل المحبوب، ٢- **و بالاستغفار** الذي فيه دفع المحذور

(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) و بالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصًا

(بِالْعَشِيِّ) فِي أَوَاخِرِ النَّهَارِ وَ أَوَائِلِ اللَّيْلِ (وَالْإِبْكَارِ) وَ هِيَ أَوَائِلُ النَّهَارِ وَ أَوَاخِرُ اللَّيْلِ. اللذين هما أفضل

الأوقات، و فيهما من الأوراد و الوظائف الواجبة و المستحبة ما فيهما لأن في ذلك عونًا على جميع الأمور ﴿٥٥﴾

(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ) يخبر تعالى أن من جادل في آياته ليبطلها بالباطل،

(يَغْيِرُ سُلْطَانِي) بينة من أمره و لا حجة

(أَتَتْهُمْ إِنْ) مَا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ (عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَ احْتِقَارُ لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِ،

○ إِنْ هَذَا صَادِرٌ مِنْ كِبَرٍ فِي صُدُورِهِمْ عَلَى الْحَقِّ وَ عَلَى مَنْ جَاءَ بِهِ،

يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل، فهذا قصدهم و مرادهم. و لكن هذا لا يتم لهم

(مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ) و ليسوا ببالغيه،

فهذا نص صريح، و بشارة، بأن كل من جادل الحق أنه مغلوب، و كل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل.

(فَأَسْتَعِذْ) أي: اعتصم و الجأ (بِاللَّهِ) و لم يذكر ما يستعِذ، إرادة للعموم

أي: -استعِذ بالله من: -الكبر الذي يوجب التكبر على الحق

و استعِذ بالله من: -شياطين الإنس و الجن، و استعِذ بالله من: -جميع الشرور.

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لجميع الأصوات على اختلافها

(الْبَصِيرُ) بجميع المرئيات، بأي محل و موضع و زمان كانت ﴿٥٦﴾

يخبر تعالى بما تقرر في العقول (لَخَلْقُ) أن خلق (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) على عظمهما و سعتهما - أعظم

و (أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات و الأرض من أصغر ما يكون

فالذي خلق الأجرام العظيمة و أتقنها، قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى و أخرى.

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) و لذلك لا يعتبرون بذلك، و لا يجعلونه منهم على بال ﴿٥٧﴾

(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) أي: كما لا يستوي الأعمى و البصير

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) كذلك لا يستوي من آمن بالله و عمل الصالحات

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) و كذلك لا يستوي من كان مستكبراً على عبادة ربه، مقدماً على معاصيه، ساعياً في مساخطه،

(قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) تذكركم قليلاً

و إلا فلو تذكركم مراتب الأمور، و منازل الخير و الشر

و الفرق بين الأبرار و الفجار و كانت لكم هممة عليه

لآثرتم: -النافع على الضار، و الهدى على الضلال،

و السعادة الدائمة على الدنيا الفانية ﴿٥٨﴾

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّنَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانَُوا بِثَانِتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

(إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّنَةٌ) لكائنة واقعة (لَا رَيْبَ فِيهَا) قد أخبرت بها الرسل الذين هم أصدق الخلق و نطقت بها الكتب السماوية، التي جميع أخبارها أعلى مراتب الصدق، و قامت عليها الشواهد المرئية، و الآيات الأفقية.

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) لا يصدقون بها بل يكذبون بها ﴿٥٩﴾

(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) هذا من لطفه بعباده، و نعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم و دنياهم، و أمرهم بدعائه:- ١- دعاء العباد ٢- و دعاء المسألة

و وعدهم أن يستجيب لهم، و توعدهم من استكبر عنها فقال:-

(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (ذليلين حقيرين، *** هَذَا مِنْ فَضْلِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَ كَرَمِهِ أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ وَ تَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ، كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ:- يَا مَنْ أَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ وَ يَا مَنْ أَبْغَضَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَ لَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يَا رَبَّ.

○ سنن أبي داود ٤٧٩٩ - عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:- الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ

{ قَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [غافر: ٦٠]

*** مسند أحمد ط الرسالة ٦٦٧٧ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:- يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالِ الذَّرِّ، فِي صُورِ النَّاسِ، يَعْلَوْهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسْ، فَتَعْلَوْهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ،

يُسْقُونَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عَصَاةَ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٠﴾

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ) لأجلكم جعل الله الليل مظلمًا، (لَتَسْكُنُوا فِيهِ) من حركاتكم، التي لو استمرت لصرت، فتأوون إلى فرشكم، و يلقي الله عليكم النوم الذي يستريح به القلب و البدن، و هو من ضروريات الآدمي لا يعيش بدونه، و يسكن أيضًا، كل حبيب إلى حبيبه، و يجتمع الفكر، و تقل الشواغل.

(و) جعل تعالى (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) مضيئًا-منيرًا بالشمس المستمرة في الفلك،

(إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ) عظيم، كما يدل عليه التكثير (عَلَى النَّاسِ) حيث أنعم عليهم بهذه النعم و غيرها، و صرف عنهم النقم، و هذا يوجب عليهم، تمام شكره و ذكره

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) بسبب جهلهم و ظلمهم. (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) الذين :-

١- يقرون بنعمة ربهم ٢- و يخضعون لله ٣- و يحبونه ٤- و يصرفونها في طاعة مولاهم ﴿٦١﴾

(ذَلِكَ) الذي فعل ما فعل (اللَّهُ رَبُّكُمْ) المنفرد بالإلهية، و المنفرد بالربوبية،

لأن انفراده بهذه النعم، من ربوبيته، و إيجابها للشكر، من ألوهيته،

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) تقرير أنه المستحق للعبادة وحده، لا شريك له،

(خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) تقرير لربوبيته. ثم صرح بالأمر بعبادته فقال: -

(فَأَنذِرْ تَوْفِكُون) كيف تصرفون عن عبادته، وحده لا شريك له، بعد ما أبان لكم الدليل، و أثار لكم السبيل؟ ﴿٦٢﴾

(كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) أي: عقوبة على :-

١- جحدهم لآيات الله ٢- و تعديهم على رسله،

صُرفُوا عن التوحيد و الإخلاص، كما قال تعالى: -

(وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)

*** كَمَا ضَلَّ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، كَذَلِكَ أَفْكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَعَبَدُوا غَيْرَهُ بِلاَ دَلِيلٍ وَ لَا بُرْهَانٍ بَلْ بِمُجَرَّدِ الْجَهْلِ وَ الْهَوَى، وَ جَحَدُوا حُجَجَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ. ﴿٦٣﴾

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا) قارة ساكنة، مهياة لكل مصالحكم، تتمكنون من حرثها و غرسها و البناء عليها، و السفر، و الإقامة فيها.

(وَالسَّمَاءَ بَنَاءً) سقفا للأرض، التي أنتم فيها، قد جعل الله فيها ما تنتفعون به من الأنوار و العلامات،

التي يهتدى بها في ظلمات البر و البحر

(وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) فَخَلَقَكُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ، وَ مَنَحَكُمْ أَكْمَلَ الصُّورِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ،

○ فليس في جنس الحيوانات، أحسن صورة من بني آدم كقوله: - (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

و إذا أردت أن تعرف حسن الآدمي و كمال حكمة الله تعالى فيه، فانظر إليه، عضواً عضواً،

هل تجد عضواً من أعضائه، يليق به، و يصلح أن يكون في غير محله؟

(وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ)

و هذا شامل لكل طيب من: -

مأكل، و مشرب، و منكح، و ملبس، و منظر، و مسمع، و غير ذلك من الطيبات التي يسرها الله لعباده،

و يسر لهم أسبابها، و منعهم من الخبائث، التي تضادها، و تضر أبدانهم، و قلوبهم، و أديانهم،

(ذَلِكُمْ) الذي دبر الأمور، و أنعم عليكم بهذه النعم (اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ)

أي: تعظم، و كثر خيره و إحسانه (رَبُّ الْعَالَمِينَ) المربي جميع العالمين بنعمه. ﴿٦٤﴾

(هُوَ الْحَيُّ) الذي له الحياة الكاملة النامة، المستلزمة لما تستلزمه من صفاته الذاتية التي لا تتم حياته إلا بها،

ك: - السمع، و البصر، و القدرة، و العلم، و الكلام و غير ذلك من: - صفات كماله و نعوت جلاله.

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) لا معبود بحق، إلا وجهه الكريم - لَا نَظِيرَ لَهُ وَ لَا عَدِيلَ لَهُ،

(فَكَادُغْوُهُ) و هذا شامل ل: - ١- دعاء العباد ٢- و دعاء المسألة

(مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) اقصدوا بكل عبادة و دعاء و عمل، وجه الله تعالى،

فإن الإخلاص، هو المأمور به كما قال تعالى: - (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) جميع المحامد و المدائح و الشناء، بالقول: - ك: نطق الخلق بذكره،

و الفعل: - ك: عبادتهم لله، كل ذلك لله تعالى وحده لا شريك له ل: -

كماله في أوصافه و أفعاله، و تمام نعمه ﴿٦٥﴾

(قُلْ) يا أيها النبي (إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)

من الأوثان و الأصنام، و كل ما عبد من دون الله. و لست على شك من أمري، بل على يقين و بصيرة،

و لهذا قال: - (لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

بقلبي و لساني، و جوارحي، بحيث تكون منقادة لطاعته، مستسلمة لأمره، و هذا أعظم مأمور به، على الإطلاق،

كما أن النهي عن عبادة ما سواه، أعظم منهي عنه، على الإطلاق ﴿٦٦﴾

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ
 ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾
 هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ
 اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾
 إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٨١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٨٢﴾
 ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٨٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا
 كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٨٥﴾
 ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
 فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ ﴿٨٧﴾

ثم قرر هذا التوحيد، بأنه الخالق لكم و المطور لخلقتكم فكما خلقكم وحده، فاعبدوه وحده فقال:-

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) و ذلك بخلقه لأصلكم و أبيكم آدم عليه السلام

(ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) و هذا ابتداء خلق سائر النوع الإنساني، ما دام في بطن أمه، فنبه بالابتداء، على بقية الأطوار

(ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) من العلقه، فالمضغة، فالعظام، فنفخ الروح (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا)

ثم هكذا تنتقلون في الخلقة الإلهية حتى تبلغوا أشدكم من قوة العقل و البدن، و جميع قواه الظاهرة و الباطنة

(ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ) (بلوغ الأشد

(وَلِنَبْلُغُوا) بهذه الأطوار المقدرة (أَجَلًا مُّسَمًّى) تنتهي عنده أعماركم (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (أحوالكم،

فتعلمون أن المطور لكم في هذه الأطوار كامل الاقتدار، و أنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له، و أنكم ناقصون من

كل وجه ﴿٧٧﴾

(هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) هو المنفرد بالإحياء و الإماتة فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب، إلا بإذنه.

(إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا) (جليلا أو حقيرا) (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) لا رد في ذلك، و لا مشوية، و لا تمنع ﴿٧٨﴾

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) الواضحة البينة متعجبا من حالهم الشنيعة

(أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ) كيف ينعدلون عنها؟

و إلى أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟

هل يجدون آيات بينات تعارض آيات الله؟

لا والله أم يجدون شبهًا توافق أهواءهم، و يصلون بها لأجل باطلهم؟ ﴿٦٦﴾

(الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رَسُولَنَا) من الهدى و البينات

○ فبئس ما استبدلوا و اختاروا لأنفسهم، بتكذيبهم بالكتاب، الذي جاءهم من الله، وبما أرسل الله به رسوله، الذين هم خير الخلق و أصدقهم، و أعظمهم عقولا فهؤلاء لا جزاء لهم سوى النار الحامية،

و لهذا توعدهم الله بعذابها فقال:- (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) كقوله {وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ} [الْمُرْسَلَات: ١٥] ﴿٧٠﴾

(إِذَا الْأَغْلالُ فِي أَعْنَقِهِمْ) التي لا يستطيعون معها حركة

(وَالسَّلْسِلُ) التي يقرنون بها هم و شياطينهم-مُتَّصِلَةٌ بِالْأَغْلالِ بِأَيْدِي الزَّبَانِيَةِ

(يُسْحَبُونَ) يَسْحَبُونَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴿٧١﴾

(فِي الْحَمِيمِ) الماء الذي اشتد غليانه و حره-تَارَةً إِلَى الْحَمِيمِ

(ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) تَارَةً إِلَى الْجَحِيمِ-يوقد عليهم اللهب العظيم ﴿٧٢﴾

(ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ) هل نفعوكم، أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟

(قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) غابوا و لم يحضروا، و لو حضروا، لم ينفعوا، ثم إنهم أنكروا فقالوا:-

(بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا) يحتمل أن مرادهم بذلك:-

الإنكار، و ظنوا أنه ينفعهم و يفيدهم،

و يحتمل - و هو الأظهر - أن مرادهم بذلك:-

الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، و أنه ليس لله شريك في الحقيقة

و إنما هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية

و يدل على هذا قوله تعالى:- (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ)

أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم، يقرون ببطلانه

يوم القيامة ﴿٧٤﴾

و يقال لأهل النار (ذَلِكُمْ) العذاب، الذي نوع عليكم

(بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ) بما تقترفونه من المعاصي و الآثام (بِغَيْرِ الْحَقِّ)

_____ :-

١- **الباطل** الذي أنتم عليه ٢- و **بالعلوم** التي خالفتكم بها علوم الرسل

(وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) على عباد الله، بغيا و عدوانا، و ظلما، و عصيانا و أشرا و بطرا ﴿٧٥﴾

(أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) كل طبقة من طبقاتها، على قدر عمله (خَالِدِينَ فِيهَا) لا يخرجون منها أبدا

(فَيْئَسَ) فبئست جهنم (مَثْوًى) نزلا - يخزون فيه، و يهانون، و يحبسون

و يعذبون و يترددون بين حرها و زمهريرها (الْمُتَكَبِّرِينَ) في الدنيا على الله ﴿٧٦﴾

(فَأَصْبِرْ) يا أيها الرسول، على دعوة قومك، و ما ينالك منهم، من أذى، و استعن على صبرك بإيمانك

(إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) سينصر دينه و يُعَلِّي كلمته، و ينصر رسله في الدنيا و الآخرة، و استعن على ذلك أيضا،

بتوقع العقوبة بأعدائك في الدنيا و الآخرة،

و لهذا قال:- (فَكَيْفَ تُزَيِّنُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ)

في الدنيا فذاك - وَ كَذَلِكَ وَقَعَ فَإِنَّ اللَّهَ أَقَرُّ أَعْيُنُهُمْ مِنْ كِبَرَائِهِمْ وَ عَظَمَائِهِمْ، أُبِيدُوا فِي يَوْمٍ بَدْرٍ.

ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَ سَائرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ ﷺ

(أَوْ تَوَفِّيَنَّكَ) قبل عقوبتهم (فَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ) فنجازيهم بأعمالهم ﴿٧٧﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ
وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾
وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾
فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) كثيرين إلى قومهم، يدعونهم و يصبرون على أذاهم.

(مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ) خبرهم (وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) وَ هُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ ذَكَرَ بِأَضْعَافٍ أَضْعَافٍ،

(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ) و كل الرسل مدبرون، ليس بيدهم شيء من الأمر. و ما كان لأحد منهم (أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ)

من الآيات السمعية و العقلية- و لَمْ يَكُنْ لِوَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمَهُ بِخَارِقٍ لِلْعَادَاتِ،
إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ،

(إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بمشيئته و أمره فاقتراح المقترحين على الرسل الإتيان بالآيات:-

١- ظلم منهم ٢- و تعنت ٣- و تكذيب

بعد أن أيدهم الله بالآيات الدالة على صدقهم و صحة ما جاءوا به.

(فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) بالفصل بين الرسل و أعدائهم، و الفتح. وَ هُوَ عَذَابُهُ وَ نَكَالُهُ الْمُحِيطُ بِالْمُكَذِّبِينَ

(قُضِيَ) بينهم (بِالْحَقِّ) الذي يقع الموقع، و يوافق الصواب بإنجاء الرسل و أتباعهم و إهلاك المكذبين و لهذا

قال:- (وَخَسِرَ هُنَالِكَ) أي: وقت القضاء المذكور (الْمُبْطِلُونَ) الذين وصفهم الباطل، و ما جاءوا به من

العلم و العمل، باطل، و غايتهم المقصودة لهم، باطلة، فليحذر هؤلاء المخاطبون، أن يستمروا على باطلهم،

فيخسروا، كما خسر أولئك، فإن هؤلاء لا خير منهم، و لا لهم براءة في الكتب بالنجاة ﴿٧٨﴾

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَمَ) وَ هِيَ الْإِبِلُ وَ الْبَقَرُ وَ الْغَنَمُ

فَالْإِبِلَ:-

تُرْكَبُ وَ تُؤْكَلُ وَ تُحَلَبُ، وَ يُحْمَلُ عَلَيْهَا الْأَثْقَالُ فِي الْأَسْفَارِ وَ الرِّحَالِ إِلَى الْبِلَادِ النَّائِيَةِ، وَ الْأَقْطَارِ الشَّاسِعَةِ.
وَ الْبَقَرُ:- تُؤْكَلُ، وَ يُشْرَبُ لَبَنُهَا، وَ تُحْرَثُ عَلَيْهَا الْأَرْضُ.
وَ الْغَنَمُ:- تُؤْكَلُ، وَ يُشْرَبُ لَبَنُهَا،
وَ الْجَمِيعُ تُجْزَأُ أَصْوَابُهَا وَ أَشْعَارُهَا وَ أَوْبَارُهَا فَيَتَّخِذُ مِنْهَا الْأَثَاثُ وَ الثِّيَابُ وَ الْأَمْتَعَةُ
يُمْتَنُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ، بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ، الَّتِي بِهَا، جُمْلَةٌ مِنَ الْإِنْعَامِ:-

١- (لَتَرْكَبُوا مِنْهَا) منافع الركوب عليها و الحمل ٢- (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) منافع الأكل من لحومها و الشرب

من ألبانها ٣- منافع الدفء و اتخاذ الآلات و الأمتعة من أصوافها و أوبارها و أشعارها إلى غير ذلك (٧٨)

(وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) ٤- (وَلَتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ)

من الوصول إلى الأوطان البعيدة، و حصول السرور بها، و الفرح عند أهلها.

(وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ) على الرواحل البرية، و الفلك البحرية، يحملكم الله الذي سخرها،

و هيأ لها ما هيأ، من الأسباب، التي لا تتم إلا بها. (٨٠)

(وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) الدالة على وحدانيته، و أسمائه، و صفاته هو هذا من أكبر نعمه، حيث أشهد عباده، آياته

النفسية، و آياته الأفقية، و نعمه الباهرة، و عددها عليهم، ليعرفوه، و يشكروه، و يذكره.

(فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ) أي آية من آياته لا تعترفون بها؟ (٨١)

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ)

يحث تعالى المكذبين لرسولهم، على السير في الأرض، بأبدانهم، و قلوبهم

(فَيَنْظُرُوا) نظر فكر و استدلال، لا نظر غفلة و إهمال.

(كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم السالفة، كعاد، و ثمود و غيرهم

(كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً) ممن كانوا أعظم منهم قوة و أكثر أموالا و أشد

(وَأَشَارًا فِي الْأَرْضِ) من الأبنية الحصينة، و الغراس الأنيقة، و الزروع الكثيرة

(فَمَا آخَرَهُمْ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

حين جاءهم أمر الله، فلم تغن عنهم قوتهم، و لا افتدوا بأموالهم و لا تحصنوا بحصونهم (٨٢)

ثم ذكر جرمهم الكبير فقال:- (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ)

ن:-

١- الكتب الإلهية ٢- و الخوارق العظيمة ٣- و العلم النافع المبين للهدي من الضلال، و الحق من الباطل

(فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) المناقض لدين الرسل

و ممن المعلوم، أن فرحهم به يدل على:-

١- شدة رضاهم به ٢- و تمسكه ٣- و معاداة الحق، الذي جاءت به الرسل،

و جعل باطلهم حقاً، و هذا عام لجميع العلوم، التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل،

و ممن أحقها بالدخول في هذا:-

١- علوم الفلسفة ٢- و المنطق اليوناني الذي:-

١- رُدَّتْ به كثير من آيات القرآن ٢- و نقصت قدره في القلوب ٣- و جعلت أدلته اليقينية القاطعة، أدلة لفظية

(لا تفيد شيئاً من اليقين، و يقدم عليها عقول أهل السفه و الباطل)

و هذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، و المعارضة لها، و المناقضة، فالله المستعان.

(وَحَاقَ بِهِمْ) نزل (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) من العذاب (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) عذابنا، أقروا حيث لا ينفعهم الإقرار

(قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) من الأصنام و الأوثان، و تبرأنا من كل ما خالف

الرسل، من علم أو عمل -وَحَدُّوا اللَّهَ وَ كَفَرُوا بِالطَّاغُوتِ وَ لَكِنْ حَيْثُ لَا تُقَالُ الْعَثْرَاتُ، وَ لَا تَنْفَعُ الْمَعْدِرَةُ ﴿٨٣﴾

(فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) في تلك الحال و هذه (سُنَّتَ اللَّهِ) و عاداته (الَّتِي قَدْ خَلَتْ) مضت

(فِي عِبَادِهِ) أن المكذبين حين ينزل بهم بأس الله و عقابه إذا آمنوا كان إيمانهم غير صحيح، و لا منجياً لهم

من العذاب، و ذلك لأنه إيمان ضرورة:- قد اضطروا إليه، و إيمان مشاهدة،

و إنما الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه، هو الإيمان الاختياري:-

الذي يكون إيماناً بالغيب، و ذلك قبل وجود قرائن العذاب -

هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ مَنْ تَابَ عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ:- أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ

(وَخَسِرَ هُنَالِكَ) وقت الإهلاك، و إذافة البأس

(الْكَافِرُونَ) دينهم و دنياهم و أخراهم،

و لا يكفي مجرد الخسارة، في تلك الدار

بل لا بد من خسران يشقي في العذاب الشديد و الخلود فيه دائماً أبداً ﴿٨٥﴾

٤١-سورة فصلت-مكية -بسم الله الرحمن الرحيم

حَمْدٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣
 بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا
 وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عِمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ
 إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۝٦ وَاللَّامُشْرِكِينَ ۝٧ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
 وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٨ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٩
 قُلْ أَتُكْفَرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۝١٠ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝١١
 وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ ۝١٢
 ثُمَّ أَسْوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١٣

حَمْدٌ ۝١ يخبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل و القرآن الجميل (تَنْزِيلٌ) صادر (مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)
 الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته و أجلهـا:-

إنزال هذا الكتاب الذي حصل به من:- العلم و الهدى، و النور، و الشفاء، و الرحمة، و الخير الكثير ۝٢

○ ثم أثنى على الكتاب بتمام البيان فقال:- (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) بُيِّنَتْ مَعَانِيهِ وَ أَحْكَمَتْ أَحْكَامُهُ

○ أي: فصل كل شيء من أنواعه على حدته، و هذا يستلزم البيان التام، و التفريق بين كل شيء، و تمييز

الحقائق (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) باللغة الفصحى أكمل اللغات فَمَعَانِيهِ مُفَصَّلَةٌ، وَ الْفَاطَةُ وَاضِحَةٌ غَيْرُ مُشْكَلَةٍ

(لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه، و يتضح لهم الهدى من الضلال، و الغي من الرشاد.

و أما الجاهلون، الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالا و لا البيان إلا عَمَىٰ فهؤلاء لم يُسَقِ الكلام لأجلهم ۝٣

(بَشِيرًا) بالثواب العاجل و الآجل (وَنَذِيرًا) بالعقاب العاجل و الآجل و ذكر تفصيلهما،

و ذكر الأسباب و الأوصاف التي تحصل بها البشارة و النذارة، و هذه الأوصاف للكتاب، مما يوجب أن يُتَلَقَّى بالقبول، و الإذعان، و الإيمان، و العمل به

(فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ) و لكن أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين

(فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) له سماع قبول و إجابة. و إن كانوا قد سمعوه سماعاً، تقوم عليهم به الحجة الشرعية ﴿٤﴾

(وَقَالُوا) أي: هؤلاء المعرضون عنه، مبينين عدم انتفاعهم به، بسد الأبواب الموصلة إليه: -

(قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) أغطية مغشاة (وَمَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيْءَ آذَانِنَا وَقَرْ) صمم فلا نسمع لك

(وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ)

فلا نراك. القصد من ذلك، أنهم أظهروا الإعراض عنه، من كل وجه، و أظهروا بغضه، و الرضا بما هم عليه،

و لهذا قالوا: (فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَا) اعمل أنت على طريقتك، وَ نَحْنُ عَلَى طَرِيقَتِنَا لَا نَتَّبِعُكَ ﴿٥﴾

(قُلْ) لهم يا أيها النبي: - (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)

هذه صفتي و وظيفتي، أني بشر مثلكم، ليس بيدي من الأمر شيء، و لا عندي ما تستعجلون به

(يُوحَىٰ إِلَيَّ) و إنما فضلني الله عليكم، و ميّزني و خصّني، بالوحي الذي أوحاه إليّ و أمرني باتباعه و دعوتكم

إليه

(أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ) لَا كَمَا تَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الْأَنْدَادِ وَ الْأَرْبَابِ الْمُتَفَرِّقِينَ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ

(فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) اسلكوا الصراط الموصل إلى الله تعالى، —: -

١- تصديق الخبر الذي أخبر به ٢- و اتبع الأمر ٣- و اجتناب النهي هذه حقيقة الاستقامة ثم الدوام على ذلك،

ثم تواعد من ترك الاستقامة فقال: - (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) دمار و هلاك ﴿٦﴾

(الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) لَا يَدِينُونَ بِالزَّكَاةِ - يَمْنَعُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ.

(وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) لا يؤمنون بالبعث، و لا بالجنة و النار ﴿٧﴾

(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بهذا الكتاب، و ما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان

و صدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص، و المتابعة.

(لَهُمْ أَجْرٌ) عظيم (غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير مقطوع و لا نافذ، بل هو مستمر مدى الأوقات، متزايد على الساعات،

مشمتمل على جميع اللذات و المشتبهات ﴿٨﴾

❖ قُلْ أَيِّنَكُمُ لَتَكْفُرُونَ) ينكر تعالى و يعجب، من كفر الكافرين به

(بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ) الكشافة العظيمة دحاها (فِي يَوْمَيْنِ) يَوْمَ الْأَحَدِ وَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ (وَيَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا) ﴿٩﴾

نُظَرَاءَ وَ أَمْثَالًا تَعْبُدُونَهَا مَعَهُ -يشركونهم معه، و يبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم و يسوونهم بالرب العظيم،

الملك الكريم (ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ ﴿٩﴾

(وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِيَ مِنْ فَوْقِهَا) ترسيها عن الزوال و التزلزل وعدم الاستقرار

(وَبَرَكَ فِيهَا) فكمّل خلقها و دحاها و أخرج أقواتها جَعَلَهَا مُبَارَكَةً قَابِلَةً لِلْخَيْرِ وَ الْبَذْرِ وَ الْغِرَاسِ ﴿١٠﴾

(وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) مَا يَحْتَاجُ أَهْلُهَا إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَ الْأَمَاجِنِ الَّتِي تُزْرَعُ وَ تُغْرَسُ، يَعْنِي: يَوْمَ الثَّلَاثَةِ

وَ الْأَرْبَعَاءِ، فَهَمَّا مَعَ الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَرْبَعَةٌ (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً) عن ذلك فلا ينبئك مثل خبير

(لِلْسَّائِلِينَ) لِمَنْ أَرَادَ السُّؤَالَ عَنْ ذَلِكَ لِيَعْلَمَهُ ﴿١١﴾

(ثُمَّ) بعد أن خلق الأرض (أَسْتَوَى) قصد (إِلَى) خلق (السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) قد ثار على وجه الماء-بُخَارُ الماء المتصاعد

منه حين خلقت الأرض (فَقَالَ لَهَا) و لما كان هذا التخصيص يوهم الاختصاص، عطف عليه بقوله:

(وَلِلْأَرْضِ أَنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) انقادا لأمرى، طائعتين أو مكرهتين، فلا بد من نفوذه.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْسَّمَوَاتِ -: أَطْلِعِي شَمْسِي وَ قَمْرِي وَ نُجُومِي وَ قَالَ لِلْأَرْضِ: شَقِّقِي أَنْهَارَكَ وَ أَخْرِجِي ثِمَارَكَ.

ف— (قَالَتَا أَنْتَيْنَا طَائِعِينَ) ليس لنا إرادة تخالف إرادتك- بَلْ نَسْتَجِيبُ لَكَ مُطِيعِينَ مِمَّا فِينَا، مِمَّا تُرِيدُ خَلْقَهُ مِنْ

الْمَلَائِكَةِ وَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ جَمِيعًا مُطِيعِينَ لَكَ ﴿١١﴾

فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۖ
 ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾
 إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
 فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً
 أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
 صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِقَهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ
 ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
 ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾
 حَقَّ إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

(فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) فَتَمَّ خَلْقُهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ - أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة،

(وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) الأمر و التدبير اللاتق بها، الذي اقتضته حكمة أحكم الحاكمين.

(وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) هي النجوم - ١- يستنار بها، و يهتدى ٢- و تكون زينة و جمالا للسماء
 ظاهراً، و جمالا لها ٣- باطناً بجعلها رجوماً للشياطين، لئلا يسترق السمع فيها.

(وَحِفْظًا) المذكور، من الأرض و ما فيها، والسماء و ما فيها (ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ)

الذي عزته، قهر بها الأشياء و دبرها، و خلق بها المخلوقات (الْعَلِيمِ) الذي أحاط علمه بالمخلوقات ﴿١٢﴾

(فَإِنْ أَعْرَضُوا) فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعد ما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، و من صفات الإله

العظيم (فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً) عذاباً يستأصلكم و يجتاحكم (مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) القبيلتين المعروفتين،

حيث اجتاحتهم العذاب و ذلك بظلمهم و كفرهم- وَ مَنْ شَاكَلَهُمَا مِمَّنْ فَعَلَ كَفَعْلِهِمَا ﴿١٣﴾

(إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) يتبع بعضهم بعضاً متوالين، و دعوتهم جميعاً واحدة.

(أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) يأمرونهم بالإخلاص لله و ينهونهم عن الشرك، فردوا رسالتهم و كذبوهم

(قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً) و أما أنتم فبشر مثلنا- لَوْ أَرْسَلَ اللَّهُ رَسُولًا لَّكَانُوا مَلَائِكَةً مِنْ عِنْدِهِ،

(فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) أَيُّهَا الْبَشَرُ (كُفِّرُونَ) لَا تَتَّبِعْكُمْ وَ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴿١٤﴾

مصنف ابن أبي شيبة ٣٦٥٦ - عن جابر بن عبد الله، قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكنمه ولينظر ماذا يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فاتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ ثم قال: - أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال: - إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الأثلة التي عبتنا، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخله قط أشام على قومه منك، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وإن في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبل أن يقول بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى أيها الرجل، إن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش ونزوجك عشراً، وإن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً، فقال رسول الله ﷺ: أفرغت؟ قال: نعم، فقرأ رسول الله ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. (حم تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) حتى بلغ

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: ١٣] فقال عتبة: حسبك حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: لا، فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إنا وقد كلمته به، فقالوا: فهل أجابك؟ قال: نعم، قال: لا والذي نصبها بيننا ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا: ويلك يكلمك رجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة "

هذا تفصيل لقصة هاتين الأمتين، عاد، و ثمود (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)

فكانوا - مع كفرهم بالله، و جحدهم بآيات الله، و كفرهم برسله - مستكبرين في الأرض قاهرين لمن حولهم من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبته قوتهم (وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) قال تعالى ردّاً عليهم، بما يعرفه كل أحد: - (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فلولا خلقه إياهم، لم يوجدوا فلو نظروا إلى هذه الحال نظراً صحيحاً لم يغتروا بقوتهم، فعاقبهم الله عقوبة، تناسب قوتهم، التي اغتروا بها

(وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) بأدلتنا وحججنا (يَجْحَدُونَ) ﴿١٥﴾

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) عظمة باردة شديدة من قوتها لها صوت مزعج، كالرعد القاصف لذلك سُمِّي النهر المشهور ببلاد المشرق "صَرْصَرًا" لِقُوَّةِ صَوْتِ جَرِيهِ.

(فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ) مُتَتَابِعَاتٍ وَ اسْتَمَرَّ بِهِمْ هَذَا النَّحْسُ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَ اتَّصَلَ بِهِمْ خِزْيُ الدُّنْيَا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ - فدمرتهم و أهلكتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.

(لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الذي اختزوا به و افتضحوا بين الخليقة

(وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) لا يمنعون من عذاب الله، و لا ينفعون أنفسهم.

و أما ثمود وهم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحجر و حواليه، الذين أرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام: -

يدعوهم إلى توحيد ربهم، و ينهاهم عن الشركو آتاهم الله الناقة آية عظيمة لها شرب و لهم شرب يوم معلوم،

يشربون لبنها يوماً و يشربون من الماء يوماً، و ليسوا ينفقون عليها، بل تأكل من أرض الله ﴿١٦﴾

و لهذا قال هنا: - (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) أي: هداية بيان، و إنما نص عليهم،

وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، و حصل لهم البيان، لأن آية ثمود، آية باهرة قد رآها صغيرهم و كبيرهم، و ذكرهم و أنثاهم، و كانت آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان و الهدى ○ و لكنهم -من ظلمهم و شرهم- (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى) -الذي هو الكفر و الضلال- (عَلَى الْهَدَى) -الذي هو:

العلم و الإيمان- (فَأَخَذَتْهُمْ صَعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ) وَ رَجْفَةٌ وَ ذُلًّا وَ هَوَانًا وَ عَذَابًا وَ نَكَالًا

(بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) لا ظلماً من الله لهم ﴿١٧﴾

(وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) نجى الله صالحاً عليه السلام و من اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك و المعاصي.

(وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ) يخبر تعالى عن أعدائه، الذين بارزوه بالكفر به و بآياته، و تكذيب رسله

و معاداتهم و محاربتهم، و حالهم الشنيعة حين يحشرون أي: يجمعون

(إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) يرد أولهم على آخرهم، و يتبع آخرهم أولهم، و يساقون إليها سوقاً عنيفاً،

لا يستطيعون امتناعاً، و لا ينصرون أنفسهم، و لا هم ينصرون- تَجَمَّعُ الزَّبَانِيَةُ أُولَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ ﴿١٨﴾

(حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا) حتى إذا وردوا على النار:- و أرادوا الإنكار أو أنكروا ما عملوه من المعاصي- ووقفوا عليها

(شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) عموم بعد خصوص (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

شهد عليهم كل عضو من أعضائهم فكل عضو يقول: أنا فعلت كذا و كذا، يوم كذا و كذا

و خص هذه الأعضاء الثلاثة، لأن أكثر الذنوب، إنما تقع بها، أو بسببها ﴿١٩﴾

وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِإِيَّاهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ
وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾
❖ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ
قَدْحَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ
وَالْعَوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾
ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا
أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ بِجَعَلِهِمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

فإذا شهدت عليهم عاتبوها (وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ) هذا دليل على أن الشهادة تقع من كل عضو كما ذكرنا:-

(لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) ونحن ندافع عنكم؟ (قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) فليس في إمكاننا، الامتناع

عن الشهادة حين أنطقنا الذي لا يستعصي عن مشيئته أحد (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) فكما خلقكم بدواتكم،

و أجسامكم، خلق أيضا صفاتكم، و ممن ذلك:- الإنطِـاق (وَلِإِيَّاهِ تُرْجَعُونَ)

في الآخرة، فيجزئكم بما عملتم، و يحتمل أن المراد بذلك، الاستدلال على البعث بالخلق الأول ﴿٢١﴾

(وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) تختفون (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ)

عن شهادة أعضائكم عليكم، و لا تحاذرون من ذلك (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ) بإقدامكم على المعاصي

(أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) فلذلك صدر منكم ما صدر و هذا الظن، صار سبب هلاكهم و شقائهم ﴿٢٢﴾

*الصحيح المسند من أسباب النزول:- البخارى ٤٨١٦ عن ابن مسعودؓ

{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ} [فصلت: ٢٢] الآية قال: كَانَ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ وَخَتَنَ لُهُمَا مِنْ ثَقِيفٍ -أَوْ رَجُلَانِ مِنْ ثَقِيفٍ وَخَتَنَ لُهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ - فِي بَيْتٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتَرُونَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ حَدِيثَنَا؟ قَالَ: بَعْضُهُمْ يَسْمَعُ بَعْضُهُ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: لَئِنْ كَانَ يَسْمَعُ بَعْضُهُ لَقَدْ يَسْمَعُ كُلُّهُ فَأَنْزِلَتْ:- {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ} [فصلت: ٢٢] الآية (١)

و لهذا قال: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ)

(أَزَدْتِكُمْ) أهلككم (فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) لأنفسهم و أهليهم و أديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم فحققت عليكم كلمة العقاب و الشقاء و وجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة ﴿٤٣﴾

(فَإِنْ يَصْبِرُوا) فلا جلدَ عليها، و لا صبر، و كل حالة قُدِّرَ إمكان الصبر عليها، فالنار لا يمكن الصبر عليها، و كيف الصبر على نار، قد اشتد حرها، و زادت على نار الدنيا، بسبعين ضعفاً، و عظم غليان حميمها، و زاد نتن صديدها، و تضاعف برد زمهريرها و عظمت سلاسلها و أغلالها، و كبرت مقامعها، و غلظ خزانها، و زال ما في قلوبهم من رحمتهم و ختام ذلك سحق الجبار، و قوله لهم حين يدعونه و يستغيثون:- (اٰخَسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنَ)

(فَالنَّارُ مَثْوًى) مأوى (لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُونَ) يطلبوا أن يزال عنهم العتب، و يرجعوا إلى الدنيا، ليستأنفوا العمل. (فَمَأْوَاهُمُ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) لأنه ذهب وقته، و عمروا، ما يعمر فيه من تذكر و جاءهم النذير و انقطعت حجتهم مع أن استعتابهم، كذب منهم (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) ﴿٤٤﴾

(وَقِيضْنَا) هيأنا (لَهُمْ) لهؤلاء الظالمين الجاحدين للحق (قُرْنَاءَ) من الشياطين

(فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيَّنَّ آيَاتِهِمْ) فالدنيا زخرفوها بأعينهم، و دعوهم إلى لذاتها و شهواتها المحرمة حتى افتنوا

(وَمَا خَلَفَهُمْ) من أمور الآخرة، فأنسوهم ذكرها، و دعوهم إلى التكذيب بالمعاد

ف: ١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠-٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٥-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٨٧-٨٨-٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-٩٩-١٠٠

٣- و الآخرة بَعَدُوهَا عليهم و أنسوهم ذكرها ٤- و ربما أوقعوا عليهم الشُّبه، بعدم وقوعها

فترحل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر، و البدع، و المعاصي.

(وَحَقَّقَ عَلَيْهِمْ) و وجب عليهم، و نزل (الْقَوْلُ) القضاء و القدر بعذابهم- كلمة العذاب

(فِي) جملة (أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ) مضت (مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ)

لأديانهم و آخرتهم، و من خسر، فلا بد أن يذل و يشقى و يعذب ﴿٥٥﴾

يخبر تعالى عن إعراض الكفار عن القرآن و توأصيهم بذلك فقال:- (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ)

أي: أعرضوا عنه بأسماعكم، و إياكم أن تلتفتوا أو تصغوا إليه و لا إلى من جاء به فإن اتفق أنكم سمعتموه

أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه ف— (وَالْغَوَا فِيهِ) بِالْمَكَاةِ وَ الصَّفِيرِ وَ التَّخْلِيصِ فِي الْمَنْطِقِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ قُرِئَتْ تَفْعَلُهُ- تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، و لا تمكنوا -مع قدرتكم-
أحدًا يملك عليكم الكلام به و تلاوة ألفاظه و معانيه هذا لسان حالهم و لسان مقالهم، في الإعراض عن القرآن
(لَعَلَّكُمْ) إن فعلتم ذلك (تَعْلَبُونَ) و هذه شهادة من الأعداء، و أوضح الحق، ما شهدت به الأعداء ﴿٤٦﴾

(فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا) في مُقَابَلَةٍ مَا اعْتَمَدُوهُ فِي الْقُرْآنِ وَ عِنْدَ سَمَاعِهِ،

(وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) و هو الكفر و المعاصي، فإنها أسوأ ما كانوا يعملون، لكونهم يعملون

المعاصي و غيرها، فالجزاء بالعقوبة، إنما هو على عمل الشرك (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)

(ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ) الذين حاربوه، و حاربوا أوليائه، —:—

١-الكفر و التكذيب ٢-و المجادلة و المجادلة.

(النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) الخلود الدائم، الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة، و لا هم ينصرون،

و ذلك (جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)

فإنها آيات واضحة، و أدلة قاطعة مفيدة لليقين فأعظم الظلم و أكبر العناد، جحدها، والكفر بها ﴿٤٨﴾

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)

الصفين اللذين، قادانا إلى الضلال و العذاب، من شياطين الجن، و شياطين الإنس، الدعاة إلى جهنم-

-عن علي عليه السلام في قوله: {الَّذِينَ ضَلَّانَا} قَالَ:-إِبْلِيسُ وَ ابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ.

(نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا) (الأتباع منهم) (لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) الأذلين المهانين في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿٤٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾
نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ
﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
كَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْكُمْ حَيِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُوحَضٍ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَزْعُغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾
فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٨﴾

يخبر تعالى عن أوليائه و في ضمن ذلك:- ١- تنشيطهم ٢- والحث على الاقتداء بهم،

فقال:- (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) اعترفوا و نطقوا و رضوا بربوبية الله تعالى، و استسلموا لأمره

(ثُمَّ اسْتَقَمُوا) على الصراط المستقيم، علماً و عملاً فلهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة.
-صحيح مسلم (٣٨) عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - قَالَ:- قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمَّ "

(تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) الكرام أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار.

(أَلَّا تَخَافُوا) على ما يستقبل من أمركم (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي و المستقبل

(وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) فإنها قد وجبت لكم و ثبتت، و كان وعد الله مفعولاً ﴿٣٠﴾

و يقولون لهم أيضاً- مبشرين لهم و مبشرين:- (نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ) (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

١- يحثونهم في الدنيا على الخير و يزينونه لهم ٢- و يرهبونهم عن الشر و يقبحونه في قلوبهم و يدعون الله لهم

٣- و يشئونهم عند المصائب و المخاوف ٤- و نحفظكم بأمر الله

(وَفِي الْآخِرَةِ) (كَذَلِكَ نَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ):- ١- و خصوصاً عند الموت و شدته

٢- نُؤْنِسُ مِنْكُمْ الْوَحْشَةَ فِي الْقُبُورِ (و ظلمة القبر) ٣- و في القيامة و أهوالها:- (عِنْدَ النَّفْخَةِ فِي الصُّورِ

٤- وَ نُوْمِنُكُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ وَ النَّشُورِ ٥- وَ نَجَاوِزُ بِكُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

٦- وَ نُوصِلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَ فِي الْجَنَّةِ يَهْنُوتُنْهُمْ بِكَرَامَةِ رَبِّهِمْ

و يدخلون عليهم من كل باب (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)

و يقولون لهم أيضا: (وَلَكُمْ فِيهَا) في الجنة (مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ) مما تختارونه

(وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ) تطلبون من انواع اللذات ﴿٣١﴾

(نُزُلًا) هذا الثواب الجزيل و النعيم المقيم نزل و ضيافة (مِنْ غَفُورٍ) غفر لكم السيئات (رَّحِيمٍ)

حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم. فبمغفرته أزال عنكم المحذور، و برحمته، أنالكم المطلوب ﴿٣٢﴾

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا) استفهام بمعنى النفي المتقرر أي:- لا أحد أحسن قولاً أي:- كلاماً و طريقة و حالة

(مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ)

(مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) ب:- ١- تعلية الجاهلين ٢- و وعظ الغافلين و المعرضين

٣- و مجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، و الحث عليها و تحسينها مهما أمكن، و الزجر عما

نهى الله عنه، و تقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام و تحسينه،

٤- و مجادلة أعدائه بالتي هي أحسن ٥- و النهي عما يضاده من الكفر و الشرك،

٦- و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر ٧- تحبيبه إلى عباده بذلك:-

تفاصيل نعمه، و سعة جوده، و كمال رحمته، و ذكر أوصاف كماله، و نعوت جلاله.

٨- الترغيب في اقتباس العلم و الهدى من كتاب الله

و سنة رسوله و الحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه

٩- الحث على مكارم الأخلاق و الإحسان إلى عموم الخلق و مقابلة المسيء بالإحسان، و الأمر بصلة

الأرحام، و بر الوالدين

١٠- الوعظ لعموم الناس في أوقات المواسم، و العوارض، و المصائب بما يناسب ذلك الحال

(وَعَمِلَ صَالِحًا) مع دعوته الخلق إلى الله بادر هو بنفسه إلى:- امتثال أمر الله بالعمل الصالح

(وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) المنقادين لأمره، السالكون في طريقه

و هذه المرتبة تمامها للصديقين:- الذين عملوا على تكميل أنفسهم و تكميل غيرهم ﴿٣٣﴾

(وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) لا يستوي فعل الحسنات و الطاعات لأجل رضا الله تعالى،

و لا فعل السيئات و المعاصي التي تسخطه و لا ترضيه، و لا يستوي الإحسان إلى الخلق،

و لا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، و لا في وصفها، و لا في جزائها(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)

ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، و هو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال:-

(أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصاً من له حق كبير عليك، كالأقارب، و

الأصحاب، و نحوه—م:-إساءة بالقول أو بالفعل فقابله بـ:-الإحسان إليه

○ فإن قطعك فصله ○ و إن ظلمك، فاعف عنه

○ و إن تكلم فيك، غائباً أو حاضراً:- فلا تقابله بل اعف عنه، و عامله بالقول اللين

○ و إن هجرك و ترك خطابك فطيب له الكلام و ابدل له السلام

فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

(فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) قريب شفيق-و هُوَ الصَّدِيقُ أَي:-

إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ أُسَاءَ إِلَيْكَ قَادَتْهُ تِلْكَ الْحَسَنَةُ إِلَيْهِ إِلَى مُصَافَاتِكَ وَ مَحَبَّتِكَ،

وَ الْحَنُو عَلَيْهِ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ لَكَ حَمِيمٌ أَي:-قَرِيبٌ إِلَيْكَ مِنَ الشَّفَقَةِ عَلَيْكَ وَ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ ﴿٣٤﴾

(وَمَا يُلْقِهَا) و ما يوفق لهذه الخصلة الحميدة

(إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) نفوسهم على ما تكره، و أجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء

بإساءته و عدم العفو عنه فكيف بالإحسان؟

(إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا)

نفوسهم على ما تكره، و أجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته و عدم

العفو عنه فكيف بالإحسان؟

○ فإذا :-

١- صَبَّر الإنسان نفسه ٢- و امثّل أمر ربه ٣- و عرف جزيل الثواب

٤- و علم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله (لا يفيد شياً، و لا يزيد العداوة إلا شدة)

٥- و أن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره بل من تواضع لله رفعه:-

هـان عليه الأمر، و فعل ذلك، متلذذاً مستحلياً له.

(وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا

و الآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق ﴿٣٥﴾

(وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ) أي وقت من الأوقات، أحسست بشيء من نزغات الشيطان

أي: مــــن:- ١- وساوسه ٢- و تزينه للشر ٣- و تكسيه عن الخير

٤- و إصَابَةُ بَعْضِ الذُّنُوبِ ٥- و إطاعة له ببعض ما يأمر

(فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) أسأله، مفتقراً إليه، أن يعيذك و يعصمك منه (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

فإنه يسمع قولك و تضرعك، و يعلم حالك و اضطراك إلى عصمته و حمايته ﴿٣٦﴾

(وَمِنْ آيَاتِهِ) الدالة على كمال قدرته، و نفوذ مشيئته، و سعة سلطانه، و رحمته بعباده،

و أنه الله وحده لا شريك له

(الْيَلِيلُ) هذا بمنفعه ظلمه، و سكون الخلق فيه (وَالنَّهَارُ) هذا بمنفعة ضيائه، و تصرف العباد فيه،

(وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) اللذان لا تستقيم معاش العباد، و لا أبدانهم، و لا أبدان حيواناتهم،

إلا بهما، و بهما من المصالح ما لا يحصى عدده.

(لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ) فإنهما مدبران مسخران مخلوقان.

(وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) اعبدوه وحده، لأنه الخالق العظيم، و دعوا عبادة ما سواه،

من المخلوقات، و إن كبر، جرمه و كثرت مصالحه فإن ذلك ليس منه، و إنما هو من خالقه، تبارك وتعالى.

(إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) فخصوه بالعبادة و إخلاص الدين له ﴿٣٧﴾

(فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا) عن عبادة الله تعالى، و لم ينقادوا لها، فإنهم لن يضرروا الله شيئاً و الله غني عنهم،

و له عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، و يفعلون ما يؤمرون

و لهذا قال:- (فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) يعني: الملائكة المقربين

(يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ ﴿٣٨﴾)

لا يملون من عبادته لقوتهم و شدة الداعي القوي منهم إلى ذلك ﴿٣٨﴾

.

وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقُولُكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَبِيَّ وَعَرِّئِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(وَمِنْ ءَايَاتِهِ) الدالة على كمال قدرته و انفراده بالملك و التدبير و الوجدانية (أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً)

لا نبات فيها- بَلْ هِيَ مَيْتَةٌ (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ) المطر (اهْتَزَّتْ) تحركت بالنبات (وَرَبَتْ) انتفخت و علت

(إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا) بعد موتها و همودها (لَمُحْيِ الْمَوْتِ) من قبورهم إلى يوم بعثهم، و نشورهم

(إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فكما لم تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، لا تعجز عن إحياء الموتى ﴿٣٩﴾

(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا) الإلحاد في آيات الله:-

الميل بها عن الصواب بأي وجه كان:- إما **بانكارها و جحودها**، و تكذيب من جاء بها،

و إما **بتحريفها و تصريفها** عن معناها الحقيقي، و إثبات معان لها، ما أرادها الله منها.

(أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ) مثل الملحد بآيات الله (خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ) من عذاب الله مستحقاً لشوابه؟

(أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) إن شئتم فاسلكوا طريق الرشد الموصلة إلى رضا ربكم و جنته و إن شئتم فاسلكوا طريق الغي

(إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يجازيكم بحسب أحوالكم و أعمالكم ﴿٤٠﴾

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ)

يجحدون القرآن الكريم المذكور للعباد جميع مصالحهم الدنيوية و الدنيوية و الأخروية، المُعلي لقدرة من اتبعه

(لَمَّا جَاءَهُمْ) نعمة من ربهم على يد أفضل الخلق و أكملهم (و) الحال

(وَأَنَّهُ لَكِنَّتُ) جامع لأوصاف الكمال (عَزِيزٌ) منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء (٤١)

(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) أي: - لا يقربه شيطان من شياطين الإنس و الجن:-

لا بسرقة و لا بإدخال ما ليس منه به و لا بزيادة و لا نقص فهو محفوظ في تنزيله محفوظة ألفاظه و معانيه
قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

(تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ) في خلقه و أمره، يضع كل شيء موضعه، و ينزله منزله (حَمِيدٍ)

على ماله من:-

١- صفات الكمال ٢- و نعوت الجلال ٣- و على ما له من العدل و الإفضال فلهذا كان كتابه

مشملا على تمام الحكمة و على تحصيل المصالح و المنافع، و دفع المفاسد و المضار التي يحمد عليها (٤٢)

(مَا يُقَالُ لَكَ) أيها الرسول من الأقوال الصادرة، ممن كذبك و عاندك (إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ)

أي: من جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسول،

من دعوتهم إلى الإخلاص لله و عبادته وحده لا شريك له و ردهم هذا بكل طريق يقدرُونَ عليه، و قولهم:-

(مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) و اقترحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها، و نحو ذلك من أقوال

أهل التكذيب، لَمَّا تشابهت قلوبهم في الكفر، تشابهت أقوالهم، و صبر الرسل عليهم السلام على أذاهم

و تكذيبهم، فاصبر كما صبر من قبلك ثم دعاهم إلى التوبة و الإتيان بأسباب المغفرة،

و حذرهم من الاستمرار على الغي فقال:- (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ)

عظيمة، يمحو بها كل ذنب لمن أقبل و تاب (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) لمن: أصر و استكبر (٤٣)

(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا) لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى الْقُرْآنَ وَ فَصَاحَتَهُ وَ بَلَغَتَهُ، وَ إِحْكَامَهُ فِي لَفْظِهِ وَ مَعْنَاهُ،

وَ مَعَ هَذَا لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، نَبَّهَ عَلَى أَنَّ كُفْرَهُمْ بِهِ كُفْرٌ عِنَادٍ وَ تَعَنُّتٍ،

كَمَا قَالَ: {وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} [الشُّعَرَاءُ: ١٩٨، ١٩٩] .

○ يخبر تعالى عن فضله و كرمه، حيث أنزل كتابا عربياً، على الرسول العربي، بلسان قومه، ليبين لهم،

و هذا مما يوجب لهم:-

١- زيادة الاغتناء به ٢- و التلقي له و التسليم

○ و أنه لو جعله قرآناً أعجمياً بلغة غير العرب لاعترض المكذبون و قالوا:-

(لَوْلَا فَصَّلَتْ أَيْنَهُ) هلا بينت آياته، و وضحت و فسرت (أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)

كيف يكون محمد عربياً، و الكتاب أعجمي؟ هذا لا يكون فنفي الله تعالى كل أمر، يكون فيه شبهة لأهل الباطل، عن كتابه، و وصفه بكل وصف، يوجب لهم الانقياد، و لكن المؤمنون الموفقون، انتفعوا به و ارتفعوا و غيرهم بالعكس من أحوالهم و لهذا قال:- **(قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى** ^ط **)** لقلبه

○ أي:- يهديهم لطريق الرشد و الصراط المستقيم، و يعلمهم من العلوم النافعة، ما به تحصل الهداية التامة **(وَشَفَاءٌ)** لما في **الصدر من:-**

١- **الشكوك و الريب** ٢- و شفاء لهم من **الأسقام البدنية** ٣- و **الأسقام القلبية**

لأنه يزجر عن مساوئ الأخلاق و أقبح الأعمال و يحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب و تشفي القلب.

(وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) بالقرآن **(فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ)** صمم عن استماعه و إعراض،

(وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) لا يبصرون به رشدًا، و لا يهتدون به، و لا يزيدهم إلا ضلالاً

فإنهم إذا ردوا الحق، ازدادوا عمى إلى عماهم، و غيًّا إلى غيهم- **لَا يَهْتَدُونَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ**

(أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ)

مِنْ قُلُوبِهِمْ- كَأَن مَّن يُّخَاطَبُهُمْ يَنَادِيهِمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُ

○ أي: ينادون إلى الإيمان، و يدعون إليه، فلا يستجيبون، بمنزلة الذي ينادي، و هو في مكان بعيد،

لا يسمع داعيًا و لا يجيب مناديًا ﴿٤٥﴾

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) كما آتيناك الكتاب، فصنع به الناس ما صنعوا معك

(فَاخْتَلَفَ فِيهِ) كَذَّبَ وَ أُوذِيَ اختلفوا فيه:-

١- فمنهم من آمن به و اهتدى و انتفع ٢- و منهم من كذبه و لم ينتفع به،

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) و إن الله تعالى، لولا حلمه و كلمته السابقة، بتأخير العذاب إلى أجل

مسمى لا يتقدم عليه و لا يتأخر **(لَقِضَى بَيْنَهُمْ)** بمجرد ما يتميز المؤمنون من الكافرين، بإهلاك الكافرين

في الحال، لأن سبب الهلاك قد وجب و حق- **لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ**، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِلًا

(وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ) قد بلغ بهم إلى الريب الذي يقلقهم، فلذلك كذبوه و جحدوه.

*** و مَا كَانَ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ عَنْ بَصِيرَةٍ مِنْهُمْ لِمَا قَالُوا، بَلْ كَانُوا شَاكِّينَ فِيمَا قَالُوا غَيْرَ مُحَقِّقِينَ لَشَيْءٍ كَانُوا فِيهِ.

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا) و هو العمل الذي أمر الله به، و رسوله **(فَلِنَفْسِهِ)** نفعه و ثوابه في الدنيا و الآخرة

(وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) ضرره و عقابه، في الدنيا و الآخرة،

و فِي هَذَا حَثٌّ:-

- ١- **على فعل الخير ٢- و ترك الشر ٣- و انتفاع العاملين**، بأعمالهم الحسنة، و ضررهم بأعمالهم السيئة
- (**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**) فَيَحْمِلُ أَحَدًا فَوْقَ سَيِّئَاتِهِمْ - لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبٍ،
- و لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَ إِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ ﴿٤٦﴾

كيف تربو هذه التربة الأرضية بإنزال الماء عليها؟

يتكون جزئ الماء من اتحاد ذرة أكسجين واحدة مع ذرتي أيديروجين برابطة قوية لا يسهل فكها، وتربط هذه الذرات مع بعضها البعض بشكل زاو، له قطبية كهربية واضحة لأن كلا من ذرتي الإيدروجين يحمل شحنة موجبة نسبية، و ذرة الأكسجين تحمل شحنة سالبة نسبية، مما يجعل جزئ الماء غير تام التعادل كهربيا، وإلي هذه القطبية الكهربية تعود صفات الماء المميّزة له من مثل قدرته الفائقة علي الإذابة، وعلي التوتر السطحي، وشدة تلاصق جزيئاته مما يجعل له القدرة علي التسلق (الخاصية الشعرية) وعلي التكور في هيئة قطرات، وعدم امتزاج محاليله امتزاجا كاملا. و الماء بهذه الصفات الطبيعية المميّزة إذا نزل علي تربة الأرض أدي إلي إثارتها كهربيا مما يجعلها تهتز وتتنفس و يزداد حجمها فتربو وتزداد و ذلك لأن تربة الأرض تتكون في غالبيتها من المعادن الصلصالية التي يؤدي تميؤها الي اهتزاز مكونات التربة، وزيادة حجمها، وارتفاعها الي أعلي حتي ترق رقعة شديدة فتتشق مفسحة طريقا سهلا آمنا لسويقة (ريشة) النبتة الطرية الندية المنبثقة من داخل البذرة النابتة المدفونة بالتربة.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ^{٣٢} أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ^{٣٣} وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ^{٣٤} أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ^{٣٥} لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ^{٣٦} ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ^{٣٧} لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ^{٣٨} أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ^{٣٩} وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ^{٤٠} وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ لَهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ^{٤١} وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ^{٤٢} أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ رَحْمَتَهُ^{٤٣} قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ^{٤٤} قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ^{٤٥} فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ^{٤٦} مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ^{٤٧}

يقول تعالى (فَمَنْ أَظْلَمُ) محذرا و مخبرا: - أنه لا أظلم و أشد ظلما

(مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ)

إِذَا :-

1- بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله

2- أو بادعاء النبوة

3- أو الإخبار بأن الله تعالى قال كذا أو أخبر بكذا

4- أو حكم بكذا و هو كاذب

فهذا داخل في قوله تعالى: (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) إن كان جاهلا و إلا فهو أشنع و أشنع.

(وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ^{٣٢})

ما أظلم ممن جاءه الحق المؤيد بالبينات فكذبه فتكذيبه ظلم عظيم منه لأنه رد الحق بعد ما تبين له فإن كان جامعا بين الكذب على الله و التكذيب بالحق كان ظلما على ظلم.

(أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ)

يحصل بها الاشتفاء منهم و أخذ حق الله من كل ظالم و كافر (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) 32

* و لما ذكر الكاذب المكذب و جنائته و عقوبته ذكر الصادق المصدق و ثوابه فقال:-

(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ)

هو رسول الله ﷺ -الأنبياء- فى قوله و عمله فدخل فى ذلك الأنبياء و من قام مقامهم ممن صدق فيما قاله عن خبر الله و أحكامه و فيما فعله من خصال الصدق.

(وَصَدَّقَ بِهِ) محمد ﷺ -الاتباع- المسلمون

* أى بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق و لكن قد لا يصدق به بسبب استكباره أو احتقاره لمن قاله و أتى به فلا بد في المدح من الصدق و التصديق فصدقه يدل على علمه و عدله و تصديقه يدل على تواضعه و عدم استكباره.

* (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) قَالَ:-

أَصْحَابُ الْقُرْآنِ الْمُؤْمِنُونَ يَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ:-

هَذَا مَا أَعْطَيْنَاكُمْ فَعَمَلْنَا فِيهِ بِمَا أَمَرْتُمُونَا

(وَهَذَا الْقَوْلُ عَنْ مُجَاهِدٍ يَشْمَلُ كُلَّ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ الْحَقَّ وَ يَعْمَلُ بِهِ)

(أُولَئِكَ) الذين وفقوا للجمع بين الأمرين

(هُمُ الْمُتَّقُونَ) فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق و التصديق به 33

(لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ)

من الثواب مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

فكل ما تعلق به إرادتهم و مشيئتهم من أصناف اللذات و المشتبهات فإنه حاصل لهم معد مهياً

(ذَلِكَ جَزَاءُ) الذين يعبدون الله كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم

(الْمُحْسِنِينَ) إلى عباد الله 34

(يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا)

ذنوبهم الصغار بسبب إحسانهم و تقواهم

(وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) بحسناتهم كلها

* كما قَالَ {أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ

[الأحقاف:16]

عمل الإنسان له ثلاث حالات:-

1- إما أسوأ

2- أو أحسن

3-أو لا أسوأ و لا أحسن.

و القسم الأخير قسم المباحات و ما لا يتعلق به ثواب و لا عقاب و الأسوأ المعاصى كلها و الأحسن الطاعات كلها فهذا التفصيل يتبين معنى الآية

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) 35

(أَلَيْسَ اللَّهُ) من كرمه و جوده و عنايته بعبده الذى قام بعبوديته و امتثل أمره و اجتنب نهيه خصوصا أكمل الخلق عبودية لربه و هو محمد ﷺ

(بِكَافٍ عَبْدُهُ)

محمدًا ﷺ وعيد المشركين و كيدهم من أن ينالوه بسوء فى أمر دينه و دنياه ؟

(وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) من الأصنام و الأنداد أن تنالك بسوء و هذا من غيهم و ضلالهم.

(وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)

*مَنِعَ الْجَنَابِ لَا يُضَامُ مَنِ اسْتَنَّادَ إِلَى جَنَابِهِ وَ لَجَأَ إِلَى بَابِهِ فَإِنَّهُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا أَعَزَّ مِنْهُ وَ لَا أَشَدَّ انْتِقَامًا مِنْهُ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَ أَشْرَكَ وَ عَانَدَ رَسُولَهُ ﷺ.

(وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ)

لأنه تعالى الذى بيده الهداية و الإضلال و هو الذى ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن.

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ) له العزة الكاملة التي قهر بها كل شىء و بعزته يكفي عبده و يدفع عنه مكرهم

اقامة الحجة على المشركين 38-41

(ذِي انْتِقَامٍ) ممن عصاه فاحذروا موجبات نقمته 37

(وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ) أى هؤلاء الضلال [الذين يخوفونك بالذين من دونه و أقمت عليهم دليلا من أنفسهم]

فقلت:- (مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) لم يشبوا لآلهتهم من خلقها شيئا.

(لَيَقُولَنَّ اللَّهُ) الذى خلقها وحده.

(قُلْ) لهم مقررا عجز آلهتهم بعد ما تبينت قدرة الله:-

(أَفَرَأَيْتُمْ) أخبرونى

(مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ) أى ضرر كان.

(هَلْ هُنَّ كُشِفَتْ ضُرُّوهُ) بإزالته بالكلية أو بتخفيفه من حال إلى حال؟

(أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ) يوصل إلي بها منفعة فى ديري أو دنياى.

(هَلْ هُرِبَ مُنْسَكَّتْ رَحْمَتِهِ) و مانعاتها عري؟. سيقولون: لا يكشفون الضر و لا يمسكون الرحمة.

*الترمذي 2516 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: -كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: -
«يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظِ اللَّهُ تَجِدَهُ تَجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ
وَ إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَ اعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ
لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ
وَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَ جَفَّتِ
الصُّحُفُ»

*قل لهم بعد ما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود و أنه الخالق للمخلوقات النافع الضار وحده
و أن غيره عاجز من كل وجه عن الخلق و النفع و الضر مستجلبا كفايته مستدفعاً مكرهم و كيدهم: -
(قُلْ حَسْبِيَ) (يكفيني طالله)

(عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ) يعتمد

(الْمُتَوَكِّلُونَ) المعتمدون في جلب مصالحهم و دفع مضارهم فالذي بيده -وحده- الكفاية هو حسي
سيكفي كل ما أهتمي و ما لا أهتم به 38

(قُلْ) لهم يا أيها الرسول: -

(يَقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ)

حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم من عبادة من لا يستحق من العبادة شيئاً و لا له من الأمر شيء
(ليس معناها: قدركم)

(إِنِّي عَمِلٌ) طعلى ما دعوتكم إليه من إخلاص الدين لله تعالى وحده

(فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) لمن العاقبة 39

و (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) في الدنيا

(وَيَحِلُّ عَلَيْهِ) في الأخرى

(عَذَابٌ مُّقِيمٌ) لا يحول عنه و لا يزول و هذا تهديد عظيم لهم و هم يعلمون أنهم المستحقون للعذاب المقيم
و لكن الظلم و العناد حال بينهم و بين الإيمان 40

.....

إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

(إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ)

يخبر تعالى أنه أنزل على رسوله الكتاب المشتمل على الحق فـ: -

أخباره و أوامره و نواهيه الذي هو مادة الهداية و بلاغ لمن أراد الوصول إلى الله و إلى دار كرامته و أنه قامت به الحجة على العالمين.

(فَمَنِ اهْتَكَىٰ) بنوره و اتبع أوامره فإن نفع ذلك يعود إلى نفسه

(وَمَنْ ضَلَّ) بعدما تبين له الهدى

(فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) لا يضر الله شيئاً.

(وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)

تحفظ عليهم أعمالهم و تحاسبهم عليها و تجبرهم على ما تشاء و إنما أنت مبلغ تؤدي إليهم ما أمرت به.

*مُؤَكَّلٌ أَنْ يَهْتَدُوا {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هُود: 12] {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرَّغَد: 40]

*يخبر تعالى أنه المتفرد بالتصرف بالعباد في حال يقظتهم و نومهم و في حال حياتهم و موتهم 41

فقال: - (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا)

تفرد الله بالتصرف في العباد 42-48

و هذه الوفاة الكبرى وفاة الموت. و إخباره أنه يتوفى الأنفس

و إضافة الفعل إلى نفسه لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت و أعوانه

كما قال تعالى:- (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ
لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه باعتبار أنه الخالق المـدبر
و يضيفها إلى أسبابها باعتبار أن :-من سننه تعالى و حكمته أن:-
جعل لكل أمر من الأمور سبباً.

و قوله:- (وَأَلَيْ لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) هذه الموتة الصغرى أى: و يمسك النفس التى لم تمت في منامها
(فِيْمَسِكُ) من هاتين النفسين النفس

(أَلَيْ قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتُ) هى نفس من كان مات أو قضى أن يموت في منامه.

(وَيُرْسِلُ) النفس

(الْآخِرَةِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى استكمال رزقها و أجلها.

*البخارى 6320 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ
ثُمَّ يَقُولُ:- بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَأَرْحَمَهَا
وَ إِنْ أَرْسَلْتَهَا فَأَحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) على كمال اقتداره و إحيائه الموتى بعد موتهم 42

و فى هذه الآية:-

1- دليل على أن الروح و النفس جسم قائم بنفسه مخالف جوهره جوهر البدن

2- و أنها مخلوقة مدبرة يتصرف الله فيها في الوفاة و الإمساك و الإرسال

3- و أن أرواح الأحياء و الأموات تتلاقى في البرزخ فتجتمع فتحدث فيرسل الله أرواح الأحياء و يمسك
أرواح الأموات.

(أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ) ينكر تعالى على من اتخذ من دونه شفعاء يتعلق بهم و يسألهم و يعبدهم.

(قُلْ) لهم - مبينا جهلهم و أنها لا تستحق شيئا من العبادة - :

(أَوَلَوْ كَانُوا) أى: من اتخذتم من الشفعاء

(لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) لا مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر

(وَلَا يَعْقِلُونَ)

بل و ليس لهم عقل يستحقون أن يمدحوا به لأنها جمادات من أحجار و أشجار و صور و أموات

فهل يقال: إن لمن اتخذها عقلا؟ أم هو من أضل الناس و أجهلهم و أعظمهم ظلما؟ **43**

(قُلْ) لهم: - (لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا)

لأن الأمر كله لله

و كل شفيع فهو يخافه و لا يقدر أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه فإذا أراد رحمة عبده أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع رحمة بالاثنيين.

*ثم قرر أن الشفاعة كلها له بقوله (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

أى جميع ما فيهما من الدوات و الأفعال و الصفات فالواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها و تخلص له العبادة.

(ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فيجازى المخلص له بالثواب الجزيل و من أشرك به بالعذاب الويل **44**

*يذكر تعالى حالة المشركين و ما الذي اقتضاه شركهم أنهم (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ)

توحيدا له و أمر بإخلاص الدين له و ترك ما يعبد من دونه

(أَسْمَأَزَّتْ) انقبضت-انقبضت و كرهت

(قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ)

عَنِ الْمَتَابَعَةِ وَ الْإِنْقِيَادِ لَهَا. فَقُلُوبُهُمْ لَا تَقْبَلُ الْخَيْرَ وَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الْخَيْرَ يَقْبَلِ الشَّرَّ

*كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} [الصافات: 35]

(وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) من الأصنام و الأنداد و دعا الداعى إلى عبادتها و مدحها

(إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) بذلك فرحا بذكر معبوداتهم و لكون الشرك موافقا لأهوائهم

و هذه الحال أشر الحالات و أشنعها و لكن موعدهم يوم الجزاء. فهناك يؤخذ الحق منهم و ينظر:-

هل تنفعهم آلهتهم التي كانوا يدعون من دون الله شيئا؟ **45**

و لهذا قال (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما و مدبرهما.

(عَلِيمَ الْغَيْبِ) الذي غاب عن أبصارنا و علمنا

(وَالشَّهَدَةِ) الذى نشاهده.

(أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

فِي دُنْيَاهُمْ سَتَقِصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ وَ نُشَوْرِهِمْ وَ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ.

*مسلم:- (770) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت:-

كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ:- «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَ مِيكَائِيلَ وَ إِسْرَافِيلَ

فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»

*الترمذى :- 3529 عَنْ أَبِي رَاشِدٍ الْخُبَرَانِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه فَقُلْتُ لَهُ:-

حَدَّثَنَا مِمَّا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَى إِلَيَّ صَحِيفَةً فَقَالَ: هَذَا مَا كَتَبَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-
فَنَظَرْتُ فِيهَا فَإِذَا فِيهَا: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ
فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ قُلْ:

اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهِ وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ

○ و إن من أعظم الاختلاف اختلاف الموحدين المخلصين القائلين:- إن ما هم عليه هو الحق

و إن لهم الحسنى في الآخرة دون غيرهم و المشركين الذين اتخذوا من دونك الأنداد و الأوثان

و سواها فيك من لا يسوى شيئا و تنقصوك غاية النقص و استبشروا عند ذكر آلهتهم و اشمأزوا عند ذكرك

و زعموا مع هذا أنهم على الحق و غيرهم على الباطل و أن لهم الحسنى.

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

و قد أخبرنا بالفصل بينهم بعدها بقوله:- هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ

مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ* يُضْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ* وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ(إِلَى أَنْ قَالَ:- (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ قال تعالى:-

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ:-

*بيان عموم خلقه تعالى و عموم علمه و عموم حكمه بين عبادته فقدرته التى نشأت عنها المخلوقات

و علمه المحيط بكل شىء دال على حكمه بين عبادته و بعثهم و علمه بأعمالهم خيرها و شرها و بمقادير

جزائها و خلقه دال على علمه (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) 46

(وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ)

لَمَا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ وَ ذَكَرَ مَقَالَةَ الْمُشْرِكِينَ وَ شَنَاةَهَا كَأَنَّ النَفُوسَ تَشَوَّقَتْ إِلَى مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فَأَخْبَرَ أَنَّ لَهُمْ (سُوءَ الْعَذَابِ) أَشَدَّهُ وَ أَفْظَعَهُ كَمَا قَالُوا أَشَدَّ الْكُفْرِ وَ أَشْنَعَهُ

وَ أَنَّهُمْ عَلَى-الْفَرْضِ وَ التَّقْدِيرِ- لَوْ كَانَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْ:-

ذَهَبِهَا وَ فَضْطِهَا وَ لَوْلُوهَا وَ حَيَوَانَاتِهَا وَ أَشْجَارِهَا وَ زُرُوعِهَا وَ جَمِيعِ أَوَانِيهَا وَ أَثَاثِهَا وَ مِثْلَهُ مَعَهُمْ بِذُلُوهِ يَوْمِ

الْقِيَامَةِ

(لَا فَنَدَوُا بِهِ) ليفتدوا به

(مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ) وينجوا منه ما قبل منهم و لا أغنى عنهم من عذاب الله شيئا
(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(وَبَدَأَ) ظَهَرَ (لَهُمْ مِنْ اللَّهِ) مِنَ الْعَذَابِ وَ النَّكَالِ بِهِمْ (مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ)

مَا لَمْ يَكُنْ فِي بَالِهِمْ وَ لَا فِي حِسَابِهِمْ- يظنون من السخط العظيم و المقت الكبير و قد كانوا يحكمون لأنفسهم
بغير ذلك 47

◀ ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ الزمر: ٤٧.

عن قزعة قال: رأيت على ابن عمر ثيابا خشنة، فقلت له: إني قد أتيتك بثوبٍ
لَيْنٍ مما يُصنع بخراسان، وتقرَّ عيناَي أن أراه عليك، قال: أرنيه؛ فلمسه وقال:
أحرير هذا؟ قلتُ: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أكون مختالا
فخورا، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الحديد: ٢٣.

قال الذهبي رحمه الله معلقا: كل لباسٍ أوجد في المرء خيلاء وفخرا فتركه مُتَعَيِّنٌ،
ولو كان من غير ذهب ولا حرير، فإننا نرى الشاب يلبس الفرجية^(٣) الصوف بفرو
الفرجية: ثوب واسع طويل الأكمام يتزيا به علماء الدين، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٢٧٠).

من أثمان أربعمائة درهم ونحوها، والكبر والخيلاء على مشيئته ظاهراً، فإن نصحته
ولمته برقيق كابر، وقال: ما في خيلاء ولا فخر، وهذا السيد ابن عمر يخاف ذلك على
نفسه^(١)! سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٣٣ - ٢٣٤).

وجاء في ترجمة محمد بن المنكدر أنه كان ذات ليلة قائماً يصلي إذ استبكى، فكثر
بكاؤه حتى فزع له أهله وسألوه، فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى
أبي حازم فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مرَّ بي آية، قال: وما هي؟
قال: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(٢)؛ فبكى أبو حازم معه، فاشتد
بكاؤهما. الزمر: ٤٧.

وجاء عنه أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزع؟ قال: أخشى آية من كتاب
الله ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾، فأنا أخشى أن يبدولي من الله ما لم
أكن أحتسب^(٣)! سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٥).

قيل لسليمان بن طرخان التيممي البصري: أنت أنت! ومن مثلك؟! قال: لا تقولوا هكذا، لا أدري ما يدولي من ربي عز وجل، سمعت الله يقول: ﴿وَبَدَأْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٠).

روى الخطيب البغدادي بسنده قال: سمعت بكرا العابد يقول: سمعت فضيل ابن عياض يقول في قول الله عز وجل: ﴿وَبَدَأْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ قال: أتوا بأعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات، قال: فرأيت يحيى بن معين بكى تاريخ بغداد (١٣/ ٢٦٢).

◀ ﴿وَبَدَأْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾

قبل اثني عشر عامًا كنت أدرّس المرحلة الثانوية، فأحضرت للطلاب شريطا بتلاوة قارئ، وكان من عادتي يومئذ أن أستمع معهم لقارئ متقن في آخر خمس دقائق من حصة القرآن لتعريفهم بالقراء المتقنين، وكان نصيب ذلك الدرس تلاوة لشيخ المقارئ الليبية الشيخ (الدوكالي عالم) صاحب الصوت الشجي، والنبرة المؤثرة.

وبعد انتهاء الدرس، جاءني طالب لم أعهد منه حرصًا ولا صلاحًا، بل كان من أرباب المشكلات السلوكية في المدرسة، أتاني في غرفة المعلمين بعد الدرس، وبعد أن أبدى إعجابه بالقارئ قال لي: الآيات بصوته حلوة، وتدخل القلب، وأحسست بها جدًا!

دفعني الفضول لمعرفة المزيد، وسألته عن أكثر شيء أثر فيه، فقال لي: سمعتُ منه آية خوفتني من الله، فقلت: ماهي؟ فطلب مني المصحف لأنه لا يحفظها، فأعطيته المصحف مفتوحًا على نفس المقطع، فأشار إلى الآية وإذا هي قوله تعالى: ﴿وَبَدَأْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(١)، ورأيتُه قد تأثر، وهو يقول لي: ادعُ لي يا أستاذ أن يستر الله عليّ!، والله إن حديثه منذ اثني عشر عامًا لا يزال في أذني كأنها قد سمعته لتوي، ولا زلتُ أتأثر بالآية كلما سمعتها أو قرأتها.

الزمر: ٤٧.

.....

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَعْجَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

(وَبَدَأَ) ظهر (لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) الأمور التي تسوؤهم بسبب صنيعهم و كسبهم

(وَحَاقَ) أحاط

(بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) من الوعيد و العذاب الذي نزل بهم و ما حل عليهم العقاب 48

(فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ)

يخبر تعالى عن حالة الإنسان و طبيعته أنه حين يمسّه ضرر —:—

مرض أو شدة أو كرب.

حال و طبيعة الانسان 49-52

(دَعَانَا) ملحا فى تفريج ما نزل به

(ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ) أعطيناه

(نِعْمَةً مِنَّا) فكشفنا ضره و أزلنا مشقته عاد بربه كافرا و لمعروفه منكرا.

و (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ)

من الله أنه له أهل و أنه مستحق له لأنه كريم عليه—أو على علم مرى بطرق تحصيله.

قال تعالى: (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) يتلوا الله به عباده لينظر من يشكره ممن يكفره.

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَجْهَلُهُمْ وَ سَوْءَ ظَنَّهُمْ -

(لَا يَعْلَمُونَ) *أَنْ ذَلِكَ:-

1-استدراج لهم من الله 2-و امتحان لهم على شكر النعم.

*فلذلك يعدون الفتنة منحة و يشتبه عليهم الخير المحض بما قد يكون سببا للخير أو للشر 49

قال تعالى:- (قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى قولهم (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ)

فما زالت متوارثة عند المكذبين لا يقرون بنعمة ربهم و لا يرون له حقا فلم يزل دأبهم حتى أهلكوا و لم يغن

(فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ) حين جاءهم العذاب.

(مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الأموال و الاولاد 50

(فَأَصَابَهُمْ) كما أصاب أولئك

(سَيِّئَاتٍ) عقوبات... لأنها تسوء الإنسان و تحزنه

(مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا)

فليسوا خيرا من أولئك و لم يكتب لهم براءة في الزبر.

(وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفائتين الله و لا سابقيه 51

(أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ)

و لما ذكر أنهم اغتروا بالمال و زعموا - بجهلهم - أنه يدل على حسن حال صاحبه أخبرهم تعالى:-

أن رزقه لا يدل على ذلك و أنه

(يَبْسُطُ) يُوسِعُ (الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ) من عباده سواء كان صالحا أو طالحا

(وَيَقْدِرُ) الرزق أى: يضيقه على من يشاء صالحا أو طالحا

فرزقه مشترك بين البرية و الإيمان و العمل الصالح يخص به خير البرية

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) لعبرا و حججا

(لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بسط الرزق و قبضه لعلمهم أن مرجع ذلك عائد إلى الحكمة و الرحمة و أنه أعلم بحال عبيده

فقد يضيق عليهم الرزق-

1-لطفًا بهم لأنه لو بسطه لبغوا فى الأرض

2-فيكون تعالى مراعيًا في ذلك صلاح دينهم الذى هو مادة سعادتهم و فلاحهم و الله أعلم.

*الصحيح المسند من أسباب النزول:-الحاكم عن عمر رضي الله عنه قال:-

كنا نقول ما لمفتتن توبة و ما الله بقابل منه شيئا فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيهم :-

{يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}

و الآيات بعدها قال عمر فكتبتها بيدي () في صحيفة و بعثت بها إلى هشام بن العاص قال هشام بن العاص فلما أتتني جعلت أقرؤها بذى طوى أصعد بها فيه و أصوب و لا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها قال: فألقى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا و فيما كنا نقول في أنفسنا و يقال فينا

قال فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة
*البخارى 4810 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:-

أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشَّرِكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَ أَهْرُوا وَ زَنُوا وَ أَهْرُوا فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا: -

إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَ تَدْعُو إِلَيْهِ لِحَسَنٍ لَوْ تَخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمَلْنَا (في الجاهلية من آثام) كَفَّارَةً (ما يحويه ويغطيه)

فَنَزَلَ:- {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ} [الفرقان: 68]

وَ نَزَلَتْ {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر: 53]

*فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ:- أَنَّهُ يَغْفِرُ جَمِيعَ ذَلِكَ مَعَ التَّوْبَةِ وَ لَا يَقْنَطَنَّ عَبْدٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

وَ إِنَّ عَظُمَتِ ذُنُوبُهُ وَ كَثُرَتْ؛ فَإِنَّ بَابَ التَّوْبَةِ وَ الرَّحْمَةِ وَاسِعٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:- {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} [التَّوْبَةُ: 104]

وَ قَالَ تَعَالَى:- {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النِّسَاء: 110]

وَ قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْمُتَنَافِقِينَ: {إِنَّ الْمُتَنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا} [النِّسَاء: 146: 145]

وَ قَالَ {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الْمَائِدَةُ: 73]

ثُمَّ قَالَ {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الْمَائِدَةُ: 74]

وَ قَالَ {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا} [الْبُرُوجُ: 10] .

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:- انْظُرْ إِلَى هَذَا الْكُفْرِ وَ الْجُودِ قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَ هُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَ الْمَغْفِرَةِ! **52**

*يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه و يحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال:-

(قُلْ) يا أيها الرسول و من قام مقامه من الدعاة لدين الله مخبرا للعباد عن ربهم:-

(يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ)

باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب و السعى فى مساخط علام الغيوب.

التوبة و الترغيب و التهيب 53-61

(لَا تَقْنَطُوا) تياسوا (مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)

فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة و تقولوا قد كثرت ذنوبنا و تراكمت عيوبنا فليس لها طريق يزيلها و لا سبيل يصرفها

فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان

متزودين ما يغضب عليكم الرحمن

و لكن اعرّفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه و جوده

(إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)

و اعلّموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك و القتل و الزنا و الربا و الظلم و غير ذلك من الذنوب الكبار و الصغار.

(إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) وصفه المغفرة و الرحمة وصفان لازمان ذاتيان لا تنفك ذاته عنهما

و لم تزل آثارهما سارية في الوجود مائة للموجود تسح يداه من الخيرات آناء الليل و النهار

و يوالي النعم على العباد و الفواضل في السر و الجهار

و العطاء أحب إليه من المنع

و الرحمة سبقت الغضب و غلبته .

و لكن لمغفرته و رحمته و نيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد

فقد أغلق على نفسه باب الرحمة و المغفرة أعظمها و أجلها

بل لا سبب لها غيره الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح و الدعاء و التضرع و التأله و التبعيد فلهم إلى هذا

السبب الأجل و الطريق الأعظم 53

و لهذا أمر تعالى بالإنابة إليه و المبادرة إليها فقال:-

(وَأَنِيبُوا) ارجعوا الى الله و استسلموا

(إِلَىٰ رَبِّكُمْ) بقلوبكم

(وَأَسْلِمُوا لَهُ) بجوارحكم إذا أفردت الإنابة دخلت فيها أعمال الجوارح

و إذا جمع بينهما كما في هذا الموضع كان المعنى ما ذكرنا.

و في قوله (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) دليل على :-

الإخلاص و أنه من دون إخلاص لا تفيد الأعمال الظاهرة و الباطنة شيئا.

(مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ)

مجيئا لا يدفع

(ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) 54

فكأنه قيل: ما هي الإنابة و الإسلام؟ و ما جزئياتها و أعمالها؟

فأجاب تعالى بقوله: (وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ)

مما أمركم من الأعمال الباطنة:-

كـمـحـبـة الله و خشيتـه و خـوفه و رجـائه
و النصـح لعباده و محبـة الخير لهم و ترك ما يضاد ذلك.

و من الأعمال الظاهرة:-

كـالصـلاة و الزكاة و الصيام و الحج و الصدقة و أنواع الإحسان و نحو ذلك مما أمر الله به
و هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور و نحوها هو المنيب المسلم

(مِن قَبْلِ أَنْ يَأْنِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعْتَهُ) فجأة

(وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) لا تعلمون به 55

و كل هذا حثٌ على المبادرة و انتهاز الفرصة. ثم حذرهم

(أَنْ) يستمروا على غفلتهم حتى يأتيهم يوم يندمون فيه و لا تنفع الندامة.

و (تَقُولُ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) في جانب حقه.

(وَلِنْ كُنْتُ) في الدنيا

(لِمَنْ السَّخِرِينَ)

في إتيان الجزاء حتى رأيته عيانا-إِنَّمَا كَانَ عَمَلِي فِي الدُّنْيَا عَمَلَ سَاخِرٍ مُّسْتَهْزِئٍ غَيْرِ مُّوَقِنٍ مُّصَدِّقٍ 56

◀ أعادته آية !

أنا شاب مسلم من أسرة مسلمة متوسطة، هاجرتُ إلى كندا منذ عشر سنوات
وهناك؛ حيث يباح كل شيء، ويتم في وضوح النهار مهما كان مخزيا؛ انزلتُ إلى
مستنقع الفواحش، وعرقتُ في الرذيلة المحرمة إلى أقصى درجة، ثم جاءتني فرصة
للعمل في القاهرة بإحدى الوكالات التابعة لهيئة دولية معروفة، وفي القاهرة
تعرفت على مجتمع من الشباب المنفلت البغيض، ونظراً لما حباني به الله من وسامة
وجاذبية في الحديث؛ فقد كانوا يرحبون بي أينما حللت!

وفي أحد الأيام كنتُ أتصفح الشبكة العنكبوتية؛ فدخلت أحد المواقع
النصرانية التي تُسبُّ سيدي وحيبي ﷺ، وأحسست بالدماء تغلي في عروقي حتى
ليكاد رأسي ينفجر من الغيظ، ووجدت بالموقع رابطاً لبرامج بعض المنصرين؛
فهلاني ما أسمع، إلا أنني أحسست عند استشهاده بإحدى الآيات القرآنية أن
هناك تغييراً مُتعمداً في كلماتها، ولكنني لم أكن متأكداً منه، فقررت أن أعود للآية

الزمر: ٥٣

التي يَسْتَشْهَدُ بها للتأكد من صدق ما يطرحه من أدلةٍ على شبهاته، وأمست المصحف لأول مرة منذ خمس سنوات للبحث عن الآية المذكورة، ولكن قبل أن أصل إليها وقعت عيني على قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، ووجدت نفسي أكررها عدة مرات، وانتابني موجة من البكاء حتى علا صوتي وأنا أبكي وأستغفر الله، وأعلنت التوبة، وانتظمت في صلاتي، وأرجو من الله أن يتقبل مني توبتي.

ثم بدأت بعد ذلك رحلة طويلة من الدراسة للقرآن الكريم، وكلما أنعم الله

عليّ بالعلم من عنده؛ عرفت كم هو عظيم ديننا، وكم هو عظيم نبينا الكريم ﷺ، كما عرفت كم هو ضئيل ووضع كل من حاول الطعن فيها!.

وليهنأ المنصرون ومن سار في ركبهم، فكم من مسلم مستهتر عاد إلى جنة الإسلام بفضل أكاذيبهم وافتراءاتهم، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿يُرِيدُونَ يُظْفِئُوا نُّورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١). الصف: ٨.

.....

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ
 لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَأًائَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ
 وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ
 أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَنُجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾
 لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾
 قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾
 وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ
 سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(أَوْ تَقُولَ لَوْ)

« لو » فى هذا الموضع للتمري أى:-

ليت أن الله هداى فأكون متقيا له فأسلم من العقاب و أستحق الثواب

و ليست « لو » هنا شرطية

لأنها لو كانت شرطية لكانوا محتجين بالقضاء و القدر على ضلالهم و هو حجة باطلة و يوم القيامة تضحل كل حجة باطلة.

(أَبِ اللَّهُ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) 57

(أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ) و تجزم بوروده

(لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا

(فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) قال تعالى:- إن ذلك غير ممكن و لا مفيد و إن هذه أمانى باطلة لا حقيقة لها

إذ لا يتجدد للعبد لو رُدَّ بيان بعد البيان الأول 58

(بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَأًائَتِي) الدالة دلالة لا يمتري فيها على الحق

(فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ) عن اتباعها

(وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) فسؤال الرد إلى الدنيا نوع عبث {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: 28] 59

(وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ) يوم القيامة

(مُسْوَدَّةٌ) كأنها الليل البهيم بكذبهم و افترائهم

و الكذب على الله يشمل:-

1-الكذب عليه باتخاذ الشريك و الولد و الصاحبة

2-و الإخبار عنه بما لا يليق بجلاله

3-أو ادعاء النبوة

4-أو القول في شرعه بما لم يقله و الإخبار بأنه قاله و شرعه

يعرفهم بذلك أهل الموقف فالحق أبلغ واضح كأنه الصبح

فكما سَوَّدُوا وجه الحق بالكذب سود الله وجوههم جزاء من جنس عملهم فلهم سواد الوجوه و لهم العذاب الشديد في جهنم

و لهذا قال:- (الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى و مسكن

(الْمُتَكَبِّرِينَ) عن الحق و عن عبادة ربهم المفترين عليه؟

بلى و الله إن فيها لعقوبة و خزيا و سخطا يبلغ من المتكبرين كل مبلغ و يؤخذ الحق منهم بها 60

و لما ذكر حالة المتكبرين ذكر حالة المتقين فقال:-

(وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ) بنجاتهم

و ذلك لأن معهم آلة النجاة و هى تقوى الله تعالى التى هى العدة عند كل هول و شدة

(لَا يَمَسُّهُمْ الشَّوْءُ) العذاب الذى يسوؤهم

(وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

*فنفى عنهم مباشرة العذاب و خوفه و هذا غاية الأمان فلهم الأمن التام يصحبهم حتى يوصلهم إلى دار السلام فحينئذ يأمنون من كل سوء و مكروه و تجرى عليهم نضرة النعيم و يقولون

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) 61

يخبر تعالى عن عظمتة و كماله الموجب لخسران من كفر به فقال:- (اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ط)

هذه العبارة و ما أشبهها مما هو كثير في القرآن تدل على:-

أن جميع الأشياء - غير الله - مخلوقة ففهيها رد على كل من قال بقديم بعض المخلوقات

كالفلاسفة القائلين بقدوم الأرض و السماوات و كالقائلين بقدوم الأرواح

و نحو ذلك من أقوال أهل الباطل المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه.

و ليس كلام الله من الأشياء المخلوقة لأن الكلام صفة المتكلم والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء
*فأخذ أهل الاعتزال من هذه الآية و نحوها أنه مخلوق و هذا من أعظم الجهل:-

فإنه تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته و لم يحدث له صفة من صفاته و لم يكن معطلا عنها بوقت من الأوقات
و الشاهد من هذا:-

أن الله تعالى أخبر عن نفسه الكريمة أنه خالق لجميع العالم العلوى و السفلى

(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) حفيظ يدبّر جميع شؤون خلقه.

و الوكالة التامة لا بد فيها من:-

1- علم الوكيل بما كان وكيلا عليه و إحاطته بتفاصيله

2- و من قدرة تامة على ما هو وكيل عليه ليتمكن من التصرف فيه

3- و من حفظ لما هو وكيل عليه

4- و من حكمة و معرفة بوجوه التصرفات

ليصرفها و يدبرها على ما هو الأليق فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله فما نقص من ذلك فهو نقص فيها.

*و من المعلوم المتقرر أن الله تعالى منزّه عن كل نقص ففى صفة من صفاته

فأخبره بأنه على كل شيء وكيل:-

1- يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء

2- و كمال قدرته على تدبيرها و كمال تدبيره

3- و كمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها **62**

(لَهُ مَقَالِيدُ) [مفاتيحها-المفاتيحُ بالفارسيّة-خزائن] علما و تدبيرا (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ)

ف— (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فاطر: 2

فلما بين من عظمته ما يقتضي أن تمتلئ القلوب له إجلالا و إكراما

ذكر حال من عكس القضية فلم يقدره حق قدره فقال: -

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) الدالة على الحق اليقين و الصراط المستقيم.

(أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

خسروا ما به تصلح القلوب من-التأله و الإخلاص لله

و ما به تصلح الألسن من-إشغالها بذكر الله

و ما تصلح به الجوارح من—

طاعة الله و تعوضوا عن ذلك كل مفسد للقلوب و الأبدان و خسروا جنات النعيم و تعوضوا عنها بالعذاب الأليم **63**

(قُلْ) يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين الذين دعوك إلى عبادة غير الله:—

(أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) هذا الأمر صدر من جهلكم

و إلا فلو كان لكم علم بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه مسدى جميع النعم هو المستحق للعبادة دون من كان ناقصا من كل وجه لا ينفع و لا يضر لم تأمروني بذلك.

و ذلك لأن الشرك بالله محبط للأعمال مفسد للأحوال و لهذا قال:—

(وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) من جميع الأنبياء.

(لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ) ليبطلنَّ

(عَمَلُكَ)

هذا مفرد مضاف يعم كل عمل ففي نبوة جميع الأنبياء أن الشرك محبط لجميع الأعمال

كما قال تعالى في سورة الأنعام —لما عدّد كثيرا من أنبيائه و رسله قال عنهم:—

(ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) الانعام: 88

(وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) دينك و آخرتك فبالشرك تحبط الأعمال و يستحق العقاب و النكال **65**

ثم قال:— (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ)

*لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك و أخبر عن شناعته أمره بالإخلاص فقال:—

(بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ) أخلص له العبادة وحده لا شريك له

(وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لله على توفيق الله تعالى

فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية ك:—

1- صحوة الجسم و عافيته

2- و حصول الرزق و غير ذلك

كذلك يشكر و يشي عليه بالنعم الدينية ك:—

1- التوفيق للإخلاص

2- و التقوى

*بل نعم الدين هي النعم على الحقيقة و في تدبر أنها من الله تعالى و الشكر لله عليها:—

سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين بسبب جهلهم

و إلا فلو عرف العبد حقيقة الحال لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر **66**

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ) ما قدر هؤلاء المشركون ربهم (حَقَّ قَدْرِهِ) و لا عظموه حق تعظيمه

بل فعلوا ما يناقض ذلك من إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه و أفعاله فأوصافه ناقصة من كل وجه و أفعاله ليس عنده نفع و لا ضر و لا عطاء و لا منع و لا يملك من الأمر شيئاً.

فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم الذي من عظمته الباهرة و قدرته القاهرة أن :-

(وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ) في قبضته

(يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتِ) و أن السماوات - على سعتها و عظمها -

(مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ) فلا عظمه حق عظمته من سؤى به غيره و لا أظلم منه.

*البخارى 4812 - عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:- سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:-

" يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَ يَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ:- أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ "

(سُبْحَنَهُ) تنزهه (وَتَعَالَى) و تعاضم (عَمَّا يُشْرِكُونَ) عن شركهم به.

*مسلم (2788) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-
يَأْخُذُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَواتِهِ وَ أَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ - وَ يَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ " حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمَنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطُ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟

فى الآية دليل على :-

1-إثبات القبضة 2-و اليمين 3-و الطي لله كما يليق بجلاله و عظمته من غير تكييف و لا تشبيه
*و قد وردت أحاديث كثيرة متعلّقة بهذه الآية الكريمة و الطريق فيها و في أمثالها مذهب السلف و هو إمرارها كما جاءت من غير تكييف و لا تحريف.

*الصحيح المسند من أسباب النزول:- البخارى 4811 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ:-

جَاءَ حَبْرٌ (عالم من علماء اليهود) مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:- يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ (في التوراة):-

أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ وَ الْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ وَ الشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ وَ الْمَاءَ وَ الثَّرَى (التراب المندى)

عَلَى إصْبَعٍ وَ سَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ

(الأسنان التي تظهر عند الضحك و هي الأنياب) تَصْدِيقًا (موافقة) لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
 فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ
 وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
 وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
 أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
 قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
 فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾
 وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ
 فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

* لما خوفهم تعالى من عظمتهم خوفهم بأحوال يوم القيامة و رغبهم و رهبهم فقال:-

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) و هو قرن عظيم لا يعلم عظمته إلا خالقه و من أطلعه الله على علمه من خلقه
 فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام أحد الملائكة المقربين و أحد حملة عرش الرحمن.

(فَصَعِقَ) غشى أو مات على اختلاف القولين:-

مشاهد يوم القيامة و انقسام الناس 68-75

(مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ)

كلهم لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها و عظمتها و ما يعلمون أنها مقدمة له.

(إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ)

ممن ثبتته الله عند النفخة فلم يصعق كالشهداء أو بعضهم و غيرهم و هذه النفخة الأولى نفخة الصعق و نفخة
 الفرع.

(ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ) النفخة الثانية نفخة البعث

(فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)

قد قاموا من قبورهم لبعثهم و حسابهم قد تمت منهم الخلقة الجسدية و الأرواح و شخصت أبصارهم

(يَنْظُرُونَ) ماذا يفعل الله بهم.

*كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّمَا هِيَ زَرْجَةٌ وَاحِدَةٌ 13 فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النَّازِعَاتِ]

وَقَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا} [الْإِسْرَاءِ: 52]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} [الرُّوم: 25]

*مسلم (2940) قال النبي ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي:- أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا
فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ ثُمَّ يَمُكُّثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ
اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ
خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ
قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ فِي خِفَةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ
لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَ لَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟
فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَ هُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقَهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا
أَصْعَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا قَالَ: وَ أَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ: فَيَصْعَقُ وَ يَصْعَقُ النَّاسُ
ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظَّلُّ - نُعْمَانُ الشَّائِكُ -
فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ:
يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرَجُوا بَعَثَ النَّارَ فَيُقَالُ: مَنْ كَمْ؟
فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَ تِسْعَةٌ وَ تِسْعِينَ قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا
وَ ذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ

*البخارى 4935 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟

قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ:

«ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا

وَ هُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ وَ مِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ 68

(وَأَشْرَقَتِ) أَضَاءَتْ (الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا تَجَلَّى الْحَقُّ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِلْخَلَائِقِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ

*علم من هذا أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة و تضمحل و هو كذلك

فإن الله أخبر أن الشمس تكور و القمر يخسف و النجوم تندثر و يكون الناس فى ظلمة فتشرق عند ذلك

الأرض بنور ربها عندما يتجلى و ينزل للفصل بينهم و ذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة

و ينشئهم نشأة يَقُودُونَ على أن لا يحرقهم نوره و يتمكنون أيضا من رؤيته

و إلا فنوره تعالى عظيم لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

(وَوُضِعَ الْكِتَابُ) كتاب الأعمال و ديوانه وضع و نشر ليقرأ ما فيه من الحسنات و السيئات كما قال تعالى:-

(وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا

وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) الكهف: 49

و يقال للعامل من تمام العدل و الإنصاف: (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) الإسراء: 14

(وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ) ليسألوا عن التبليغ و عن أممهم و يشهدوا عليهم.

(وَالشَّهَدَاءَ) من الملائكة و الأعضاء و الأرض.

(وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ)

العدل التام و القسط العظيم لأنه حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة و من هو محيط بكل شيء و كتابه الذى هو اللوح المحفوظ محيط بكل ما عملوه و الحفظه الكرام و الذين لا يعصون ربهم قد كتبت عليهم ما عملوه و أعدل الشهداء قد شهدوا على ذلك الحكم فحكم بذلك من يعلم مقادير الأعمال و مقادير استحقاقها للثواب و العقاب. فيحصل حكم يقر به الخلق و يعترفون لله بالحمد و العدل و يعرفون به من عظمته و علمه و حكمته و رحمته ما لم يخطر بقلوبهم و لا تعبر عنه ألسنتهم

(وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ) شيئاً بنقص ثواب أو زيادة عقاب 69

و لهذا قال:- (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) من خير أو شر

(وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ) فى الدنيا من طاعة أو معصية 70

* لما ذكر تعالى حكمه بين عباده الذين جمعهم فى خلقه و رزقه و تدبيره و اجتماعهم فى الدنيا و اجتماعهم فى موقف القيامة فرقهم تعالى عند جزائهم كما افترقوا فى الدنيا بالإيمان و الكفر و التقوى و الفجور فقال:-

(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا)

سوقاً عنيفاً يضربون بالسياط الموجهة من الزبانية الغلاظ الشداد إلى شر محبس و أفضع موضع

(إِلَىٰ جَهَنَّمَ) التى قد جمعت كل عذاب و حضرها كل شقاء و زال عنها كل سرور كما قال تعالى:-

(يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًا) [الطُّور: 13] يدفعون إليها دفعا و ذلك لامتناعهم من دخولها.

* وَهُمْ عَطَاشٌ ظَمَاءٌ كَمَا قَالَ {يَوْمَ نُخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَعَلْنَا 85 وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا} [مَزِيم]

وَ هُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ صُمْ وَ بُكْمٌ وَ عُمَىٰ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشَىٰ عَلَىٰ وَجْهِهِ

{وَنُخْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَا وَرَأَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء: 97]

* و يساقون إليها (زُمَرًا) فرقا متفرقة

كل زمرة مع الزمرة التى تناسب عملها و تشاكل سعيها يلعن بعضهم بعضا و يبرأ بعضهم من بعض.

(حَقَّتْ إِذَا جَاءُوهَا) وصلوا إلى ساحتها

(فُتِحَتْ) لهم أى: لأجلهم

(أَنْبِئْهُمْ) لقدومهم و قرى لنزولهم.

(وَقَالَ لَهُمْ خُزِّنْهَا)

مهئين لهم بالشقاء الأبدى و العذاب السرمدى و موبخين لهم على الأعمال التي أوصلتهم إلى هذا المحل الفطيع:-

(أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) من جنسكم تعرفونهم و تعرفون صدقهم و تتمكنون من التلقي عنهم؟

(يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمُ) التي أرسلهم الله بها الدالة على الحق اليقين بأوضح البراهين.

(وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا)

و هذا يوجب عليكم اتباعهم و الحذر من عذاب هذا اليوم باستعمال تقواه

و قد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟

(قَالُوا) مقرين بذنبهم و أن حجة الله قامت عليهم:-

(بَلَى) قد جاءتنا رسل ربنا بآياته و بيناته و بينوا لنا غاية التبيين و حذرونا من هذا اليوم.

(وَلَكِنْ حَقَّتْ) وجبت عليهم

(كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) بسبب كفرهم

التي هي لكل من:-

1- كفر بآيات الله

2- و جحـد ما جاءت به المرسلون فاعترفوا بذنبهم و قيام الحجة عليهم **71**

ف— (قِيلَ) لهم على وجه الإهانة و الإذلال:-

(ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها و يوافق عملها.

(خَالِدِينَ فِيهَا) أبدا لا يظعنون عنها و لا يفتر عنهم العذاب ساعة و لا ينظرون.

(فَيَسَّ مَنَوى) الفقر النار مقر

(الْمُتَكَبِّرِينَ) و ذلك لأنهم تكبروا على الحق فجازاهم الله من جنس عملهم بالإهانة و الذل و الخزي **72**

ثم قال عن أهل الجنة:- (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ)

بتوحيده و العمل بطاعته سوق إكرام و إعزاز يحشرون وفدا على النجائب.

(إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) جماعة بعد جماعة فرحين مستبشرين كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها و تشاكله.
 *الْمُقَرَّبُونَ ثُمَّ الْأَبْرَارُ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ :-
 الْأَنْبِيَاءُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقُونَ مَعَ أَشْكَالِهِمْ وَالشَّهَدَاءُ مَعَ أَضْرَابِهِمْ وَالْعُلَمَاءُ مَعَ أَقْرَانِهِمْ
 وَ كُلِّي صِنْفٍ مَعَ صِنْفٍ

(حَقَّقْ إِذَا جَاءَهَا)

*وَصَلُّوا إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ بَعْدَ مَجَاوَزَةِ الصَّرَاطِ حُسْبُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَاقْتَصَّ لَهُمْ مَظَالِمُ
 كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي لَدُنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَ نُقُّوا أُذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ بِمَنَازِلِهَا الْأَنْيَقَةِ وَ هَبَّ عَلَيْهِمْ رِيحُهَا
 وَ نَسِيمُهَا وَ آنْ خُلُودُهَا وَ نَعِيمُهَا

*مسلم (197) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 آتِيَ بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ:
 بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ "

(وَفُتِحَتْ) لهم

(أَبْوَابُهَا) فتح إكرام لكرام الخلق ليكرموا فيها.

(وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) تهنئة لهم و ترحيباً:-

(سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ) من كل آفة و شر حال عليكم

(طِبِّئْكُمْ) طابت قلوبكم بمعرفة الله و محبته و خشيته و ألسنتكم بذكره و جوارحكم بطاعته.

(ف) بسبب طيبكم

(فَادْخُلُوهَا خَلِيدِينَ) لأنها الدار الطيبة و لا يليق بها إلا الطيبون

*البخارى :- 1896 عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ (صيغة مبالغة من الري و هو نقيض العطش) يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ
 *مسلم (234) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ:- كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ
 فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَمَّا يَحْدُثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ:

مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضْوءَهُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَ وَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ
 الْجَنَّةُ «قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجُودَ هَذِهِ (يعنى هذه الكلمة أو الفائدة أو البشارة أو العبادة وجودتها من جهات منها أنها سهلة متيسرة بقدر عليها كل أحد بلا

مشقة ومنها أن أجرها عظيم) فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ:-الَّتِي قَبْلَهَا أَجُودُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ:-

إِنِّي قَدْ رَأَيْتَكَ جِئْتَ أَنْفًا (قريباً) قَالَ:- مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ - أَوْ فَيُسَبِّحُ -

(هما بمعنى واحد أي يتمه ويكلمه فيوصله مواضعه على الوجه المسنون)

الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَّةُ
 يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ

*و قال فى النار (**فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**) و فى الجنة (**وَفُتِحَتْ**) بالواو إشارة إلى أن أهل النار بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها من غير إنظار و لا إمهال و ليكون فتحها فى وجوههم و على وصولهم أعظم لحرها و أشد لعذابها.

*و أما الجنة فإنها الدار العالية الغالية التى لا يوصل إليها و لا ينالها كل أحد إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها و مع ذلك فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها بل يستشفعون إلى الله بمحمد ﷺ حتى يشفع فيشفعه الله تعالى.

*و فى الآيات دليل على أن النار و الجنة لهما أبواب تفتح و تغلق و أن لكل منهما خزنة و هما الداران الخالصتان اللتان لا يدخل فيهما إلا من استحقهما بخلاف سائر الأمكنة و الدور **73**

(**وَقَالُوا**) عند دخولهم فيها و استقرارهم حامدين ربهم على ما أولاهم و منّ عليهم و هداهم :-

(**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ**)

وعدنا الجنة على السنة رسله إن آمنا و صلحنا فوقى لنا بما وعدنا و أنجز لنا ما مَنَّنا.

*كَمَا دَعَوْا فِي الدُّنْيَا:- { رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسْلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَاتِ } [آلِ عِمْرَانَ: 194]

{ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } [الْأَعْرَافِ: 43]

{ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا

فِيهَا لُغُوبٌ } [فَاطِر: 35 34]

(**وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ**) أى أرض الجنة

(**نَتَّبِعُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ**)

ننزل منها أى مكان شئنا و نتناول منها أى نعيم أردنا ليس ممنوعا عنا شئ نريده.

(**فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ**)

الذين اجتهدوا بطاعة ربهم فى زمن قليل منقطع فنالوا بذلك خيرا عظيما باقيا مستمرا.

و هذه الدار التى تستحق المدح على الحقيقة التى يكرم الله فيها خواص خلقه و رضىها الجواد الكريم لهم نزلا

و بنى أعلاها و أحسنها و غرسها بيده و حشاها من رحمته و كرامته ما ببعضه :-

يفرح الحزين و يزول الكدر و يتم الصفاء.

*مسلم (2928) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:-

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِابْنِ صَائِدٍ: «مَا تُرَبُّهُ الْجَنَّةُ؟» قَالَ:-

دَرَمَهُ (**الدَّقِيقُ الْخَوَارِيُّ الْخَالِصُ الْبَيَاضُ**) بَيَضَاءُ مِسْكٍ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: «صَدَقْتَ» **74**



وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سورة غافر-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

حَمْ ١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَدِ ﴿٤﴾
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ
وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ كَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ) أيها الرائي ذلك اليوم العظيم

(حَافِينَ) محيطين

(مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) قد قاموا في خدمة ربهم و اجتمعوا حول عرشه خاضعين لجلاله معترفين بكماله مستغفرين بجماله.

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله مما نسب إليه المشركون و ما لم ينسبوا.

(وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) أى: بين الأولين و الآخرين من الخلق

(بِالْحَقِّ) الذى لا اشتباه فيه و لا إنكار ممن عليه الحق

(وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

لم يذكر القائل من هو [بَلْ أَطْلَقَهُ] ليدل ذلك على :-

أن جميع الخلق- ناطقه و بهيمه- نطقوا بحمد ربهم و حكمته على ما قضى به على أهل الجنة و أهل النار

حمد:- فضل و إحسان

و حم:- عدل و حكمة.

* قَالَ قَتَادَةُ: افْتَتَحَ الْخَلْقُ بِالْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ:- { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ } [الأنعام:1]

وَ اخْتَتَمَ بِالْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ: {وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} **75**

تفسير سورة المؤمن مكية

صفات الله 3-1

(حَمَّ ١) **تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ**

يخبر تعالى عن كتابه العظيم و بأنه صادر و منزل من الله المألوه المعبود لكماله و انفراده بأفعاله

(الْعَزِيزُ) الذي قهر بعزته كل مخلوق

(الْعَلِيمُ) بكل شيء 2

(غَافِرِ الذَّنْبِ) للمذنبين

(وَقَابِلِ التَّوْبِ) من التائبين

(شَدِيدِ الْعِقَابِ) على من تجرأ على الذنوب و لم يتب منها

* وَ أَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ عَنَّا عَنْ أَوْامِرِ اللَّهِ وَ بَغْيٍ وَ قَدْ اجْتَمَعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الرَّجَاءُ وَ الْخَوْفُ. وَ هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {- نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ 4 وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [النَّجْمِ]

(ذِي الطَّوْلِ) (التفضل و الإحسان الشامل). {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إِبْرَاهِيمَ: 34]

* فلما قرر ما قرر من كماله و كان ذلك موجبا لأن يكون وحده المألوه الذي تخلص له الأعمال قال:-

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) لَا نَظِيرَ لَهُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ

(إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (الْمَرْجِعُ وَ الْمَأْبُ فَيَجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ {وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [الرَّغْدِ: 41]

و وجه المناسبة بذكر نزول القرآن من الله الموصوف بهذه الأوصاف أن:-

هذه الأوصاف مستلزمة لجميع ما يشتمل عليه القرآن من المعاني.

فإن القرآن:-

1- إما إخبار عن أسماء الله و صفاته و أفعاله و هذه أسماء و أوصاف و أفعال.

2- و إما إخبار عن الغيوب الماضية و المستقبلية فهي من تعليم العليم لعباده.

3- و إما إخبار عن نعمه العظيمة و آلائه الجسيمة و ما يوصل إلى ذلك من الأوامر فذلك يدل عليه قوله:

(ذِي الطَّوْلِ)

4- و إما إخبار عن نعمه الشديدة و عما يوجبها و يقتضيها من المعاصي فذلك يدل عليه قوله: (شَدِيدِ الْعِقَابِ)

5- و إما دعوة للمذنبين إلى التوبة و الإنابة و الاستغفار فذلك يدل عليه قوله:

(غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ)

6- و إما إخبار بأنه وحده المألوه المعبود و إقامة الأدلة العقلية و النقلية على ذلك و الحث عليه

و النهي عن عبادة ما سوى الله و إقامة الأدلة العقلية والنقلية على فسادها و الترهيب منها فذلك يدل عليه قوله تعالى: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)

7- و إما إخبار عن حكمه الجزائي العدل و ثواب المحسنين و عقاب العاصين فهذا يدل عليه قوله:-
(إِلَيْهِ الْمَصِيرُ)

حال الكفار و تكذيب الامم السابقة 4-6

فهذا جميع ما يشتمل عليه القرآن من المطالب العاليات 3

يخبر تبارك و تعالى أنه (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا)

و المراد بالمجادلة هنا:-

المجادلة لرد آيات الله و مقابلتها بالباطل فهذا من صنيع الكفار

* و أما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذى يلقي الحق ليدحض به الباطل و لا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدنيوية و يظن أن إعطاء الله إياه فى الدنيا دليل على محبته له

و أنه على الحق و لهذا قال:- (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ)

فِي أَمْوَالِهِمْ وَ نَعِيمِهِمْ وَ زَهْرَتِهَا-ترددتهم فيها بأنواع التجارات و المكاسب

* بل الواجب على العبد أن يعتبر الناس بالحق و ينظر إلى الحقائق الشرعية و يزن بها الناس و لا يزن الحق بالناس كما عليه من لا علم و لا عقل له.

* كَمَا قَالَ: {لَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} [آلِ عِمْرَانَ]

وَ قَالَ تَعَالَى: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [الْقَمَان: 24] 4

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) وَ هُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

(وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ) من كل أمة

ثم هدد من جادل بآيات الله ليبطلها كما فعل من قبله من الأمم من قوم نوح و عاد و الأحزاب من بعدهم الذين تحزبوا و تجمعوا على الحق ليبطلوه و على الباطل لينصروه

(و) أنه بلغت بهم الحال و آل بهم التحزب إلى أنه

(وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ) من الأمم

(بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) ليقتلوه (حَرَّصُوا عَلَىٰ قَتْلِهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ رَسُولَهُ)

* و هذا أبلغ ما يكون الرسل الذين هم قادة أهل الخير الذين معهم الحق الصرف الذي لا شك فيه و لا اشتباه هموا بقتلهم فهل بعد هذا البغى و الضلال و الشقاء إلا العذاب العظيم الذي لا يخرجون منه؟

(وَجَادَلُوا بِالبَطِيلِ) مَا حَلُّوا بِالشُّبْهَةِ

(لِيَذْخَبُوا بِهِ الْحَقَّ) لِيَرُدُّوا الْحَقَّ الْوَاضِحَ الْجَلِيَّ.

* و لهذا قال في عقوبتهم الدنيوية و الأخروية:-

(فَأَخَذْنَاهُمْ) أَهْلَكْنَاهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ هَذِهِ الْأَثَامِ وَ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ-بسبب تكذيبهم و تحزبهم

(فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) ————— إياهم عبرة للخلق و عظة لمن يأتي بعدهم؟

* كان أشد العقاب و أفظعه ما هو إلا **صيحة** أو **حاصب** ينزل عليهم أو **يأمر الأرض أن تأخذهم**

أو **البحر** أن يغرقهم فإذا هم خامدون **31**

حملة العرش و تسبيحهم و دعاؤهم 7-9

(وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا)

كما حقت على أولئك حقت عليهم كلمة الضلال التي نشأت عنها كلمة العذاب

و لهذا قال: (أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)

* كَمَا حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ كَذَلِكَ حَقَّتْ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُواكَ وَ خَالَفُوكَ يَا مُحَمَّدُ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَ الْأُخْرَى لِأَنَّ مَنْ كَذَّبَكَ فَلَا وَثُوقَ لَهُ بِتَصْدِيقِ غَيْرِكَ.

* يخبر تعالى عن كمال لطفه تعالى بعباده المؤمنين

و ما قيص لأسباب سعادتهم من الأسباب الخارجة عن قدرهم —————:-

استغفار الملائكة المقربين لهم و دعائهم لهم بما فيه صلاح دينهم و آخرتهم

و في ضمن ذلك الإخبار عن شرف حملة العرش و من حوله و قربهم من ربهم **6**

و كثرة عبادتهم و نصحتهم لعباد الله لعلمهم أن الله يحب ذلك منهم فقال:- (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ)

أي: عرش الرحمن الذي هو سقف المخلوقات و أعظمها و أوسعها و أحسنها و أقربها من الله تعالى الذي وسع

الأرض و السماوات و الكرسي و هؤلاء الملائكة قد وكلهم الله تعالى بحمل عرشه العظيم

فلا شك أنهم من أكبر الملائكة و أعظمهم و أقواهم

○ و اختيار الله لهم لحمل عرشه و تقديمهم في الذكر و قربهم منه يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة

عليهم السلام قال تعالى: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)

(وَمَنْ حَوْلَهُ) من الملائكة المقربين في المنزلة و الفضيلة

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يَقْرَأُونَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ الدَّالَّ عَلَى نَفْيِ النَّقَائِصِ التَّحْمِيدِ الْمُقْتَضَى لِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْمَدْحِ

* هذا مدح لهم بكثرة عبادتهم لله تعالى و خصوصًا التسبيح و التحميد و سائر العبادات تدخل في تسبيح الله

و تحميده لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره و حمد له تعالى بل الحمد هو العبادة لله تعالى

(وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) خَاشِعُونَ لَهُ أَذِلَّةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ

* و أما قول العبد: « سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ » فهو داخل في ذلك و هو من جملة العبادات.

(وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا)

* مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِمَّنْ آمَنَ بِالْغَيْبِ فَقَيَّضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَدْعُوا لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ وَ لَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ سَجَايَا الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ كَانُوا يُؤْمِنُونَ عَلَى دُعَاءِ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ

كَمَا ثَبَّتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: 2732- قال النبي ﷺ: -إِذَا دَعَا الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ: - آمِينَ وَ لَكَ بِمِثْلِهِ.

* و هذا من جملة فوائد الإيمان و فضائله الكثيرة جدًا:-

أن الملائكة الذين لا ذنوب عليهم يستغفرون لأهل الإيمان فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم. ثم و لما كانت المغفرة لها لوازم لا تتم إلا بها -غير ما يتبادر إلى كثير من الأذهان أن سؤالها و طلبها غاية مجرد مغفرة الذنوب- ذكر تعالى صفة دعائهم لهم بالمغفرة بذكر ما لا تتم إلا به فقال:-

(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا)

فعلمك قد أحاط بكل شيء لا يخفى عليك خافية و لا يعزب عن علمك مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء و لا أصغر من ذلك و لا أكبر و رحمتك وسعت كل شيء فالكون علويه و سفليه قد امتلأ برحمة الله تعالى و وسعتهم و وصل إلى ما وصل إليه خلقه.

(فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) من الشرك و المعاصي

(وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ) باتباع رسلك بتوحيدك و طاعتك

(وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) قهِم العذاب نفسه و قهِم أسباب العذاب 7

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
 إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ
 وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ
 أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَتُنَادِيَنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَنْتَتَيْنِ
 فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ
 وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ
 السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾
 رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾
 يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

(رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ) على السنة رسلك

(وَمَنْ صَلَحَ) صلح بالإيمان و العمل الصالح

(مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ) زوجاتهم و أزواجهن و أصحابهم و رفقائهم

(وَذُرِّيَّتِهِمْ) و أولادهم

(إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) القاهر لكل شيء

فبعزتكم تغفر ذنوبهم و تكشف عنهم المحذور و توصلهم بها إلى كل خير

(الْحَكِيمُ) الذي يضع الأشياء مواضعها

* فلا نسألك يا ربنا أمرا تقتضي حكمتك خلافة بل من حكمتك التي أخبرت بها على السنة رسلك

و اقتضاها فضلك المغفرة للمؤمنين 8

(وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ) الأعمال السيئة و جزاءها لأنها تسوء صاحبها.

(وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) أي: -يوم القيامة

(فَقَدْ رَحِمْتَهُ) لأن رحمتك لم تزل مستمرة على العباد لا يمنعها إلا ذنوب العباد و سيئاتهم

فمن وقته السيئات وفاقته للحسنات و جزائها الحسن.

(وَذَلِكَ) أى:- زوال المحذور بوقاية السيئات و حصول المحبوب بحصول الرحمة

(هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) الذى لا فوز مثله و لا يتنافس المتنافسون بأحسن منه.

و قد تضمن هذا الدعاء من الملائكة:-

1- كمال معرفتهم بربهم

2- و التوسل إلى الله بأسمائه الحسنی التى يحب من عباده التوسل بها إليه

3- و الدعاء بما يناسب ما دعوا الله فيه

* فلما كان دعاؤهم بحصول الرحمة و إزالة أثر ما اقتضته النفوس البشرية التى علم الله نقصها و اقتضاءها لما

اقتضته من المعاصى و نحو ذلك من المبادئ و الأسباب التى قد أحاط الله بها علماً:-

1- توسلوا بالرحيم العليم.

2- و تضمن كمال أدبهم مع الله تعالى بإقرارهم بربوبيته لهم الربوبية العامة و الخاصة و أنه ليس لهم من الأمر

شئ و إنما دعاؤهم لربهم صدر من فقير بالذات من جميع الوجوه لا يُدلي على ربه بحالة من الأحوال

إن هو إلا فضل الله و كرمه و إحسانه.

2- و تضمن موافقتهم لربهم تمام الموافقة بمحبة ما يحبه من الأعمال التى هى العبادات التى قاموا بها

و اجتهدوا اجتهد المحبين و من العمال الذين هم المؤمنون الذين يحبهم الله تعالى من بين خلقه

فسائر الخلق المكلفين يبغضهم الله إلا المؤمنين منهم

فمن محبة الملائكة لهم دعوا الله و اجتهدوا في صلاح أحوالهم لأن الدعاء للشخص من أدل الدلائل على

محبه لأنه لا يدعو إلا لمن يحبه.

3- و تضمن ما شرحه الله و فصله من دعائهم بعد قوله: (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا)

التنبيه اللطيف على كيفية تدبر كتابه و أن لا يكون المتدبر مقتصرًا على مجرد معنى اللفظ بمفرده

بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ

* فإذا فهمه فهمًا صحيحًا على وجهه نظر بعقله إلى ذلك الأمر و الطرق الموصلة إليه

و ما لا يتم إلا به و ما يتوقف عليه و جزم بأن الله أراد كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص الدال عليه اللفظ.

و الذى يوجب له الجزم بأن الله أراد أمـران:

الاول:- معرفته و جزمه بأنه من توابع المعنى و المتوقف عليه.

و الثانى: علمه بأن الله بكل شيء عليم و أن الله أمر عباده بالتدبر و التفكير في كتابه.

و قد علم تعالى ما يلزم من تلك المعانى. و هو المخبر بأن كتابه هدى و نور و تبيان لكل شئ

و أنه أفصح الكلام و أجله إيضاحًا

فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم و الخير الكثير بحسب ما وفقه الله له و قد كان فى تفسيرنا هذا كثير من هذا من به الله علينا.

و قد يخفى فى بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة و نسأله تعالى أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سبباً لصلاح أحوالنا و أحوال المسلمين فليس لنا إلا التعلق بكرمه و التوسل بإحسانه الذي لا نزال نتقلب فيه فى كل الآتات و فى جميع اللحظات و نسأله من فضله أن يقينا شر أنفسنا المانع والمعوق لوصول رحمته إنه الكريم الوهاب الذي تفضل بالأسباب ومسبباتها.

و تضمّن ذلك:-

أن المقارن من زوج و ولد و صاحب يسعد بقرينه و يكون اتصاله به سبباً لخير يحصل له خارج عن عمله و سبب عمله كما كانت الملائكة تدعو للمؤمنين و لمن صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم و قد يقال: إنه لا بد من وجود صلاحهم لقوله: - (وَمَنْ صَلَحَ) فحينئذ يكون ذلك من نتيجة عملهم و الله أعلم **9**

* يخبر تعالى عن الفضيحة و الخزي الذى يصيب الكافرين و سؤالهم الرجعة و الخروج من النار و امتناع ذلك عليهم و توبيخهم

مقت الله للكافرين 10-12

فقال:- (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) أطلقه ليشمل أنواع الكفر كلها من:-

الكفر بالله أو بكتبه أو برسله أو باليوم الآخر حين يدخلون النار و يقرون أنهم مستحقونها لما فعلوه من الذنوب و الأوزار فيمقتون أنفسهم لذلك أشد المقت و يغضبون عليها غاية الغضب فينادون عند ذلك و يقال لهم:- (لَمَقْتُ اللَّهِ) أى: إياكم

(يُنَادُونَ) أى: حين دعيتكم الرسل و أتباعهم إلى الإيمان و أقاموا لكم من البينات ما تبين به الحق

ف:-

1- كفرتم

2- و زهدتم فى الإيمان الذى خلقكم الله له

3- و خرجتم من رحمته الواسعة فمقتكم و أبغضكم فهذا

(أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ)

فلم يزل هذا المقت مستمراً عليكم و السخط من الكريم حالاً بكم حتى آلت بكم الحال إلى ما آلت فالיום حلّ عليكم غضب الله و عقابه حين نال المؤمنون رضوان الله و ثوابه. فتمنوا الرجوع

(يُنَادُونَ) يناديهم خزنة جهنم:-

(لَمَقْتُ اللَّهِ) لكم في الدنيا - حين طلب منكم الإيمان به و اتباع رسله فأبيتهم-

(أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ) بغضكم

(أَنْفَسَكُمْ) الآن بعد أن أدركتم أنكم تستحقون سخط الله و عذابه

(إِذْ نَدَعَوْكَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ) (١٠)

و (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ)

يريدون الموتة الأولى و ما بين النفختين على ما قيل أو العدم المحض قبل إيجادهم ثم أماتهم بعدما أوجدهم

(وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) الحياة الدنيا و الحياة الأخرى

* كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 28]

* وَ هَذَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَ لَا مَرِئَةٍ.

* وَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ: أَنَّ الْكُفَّارَ يَسْأَلُونَ الرَّجْعَةَ وَ هُمْ وَقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ

كَمَا قَالَ: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: 12]

فَلَا يُجَابُونَ. ثُمَّ إِذَا رَأَوْا النَّارَ وَ عَايَنُوهَا وَ وَقَفُوا عَلَيْهَا وَ نَظَرُوا إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَ النَّكَالِ سَأَلُوا الرَّجْعَةَ أَشَدَّ مِمَّا سَأَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَلَا يُجَابُونَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ

{وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: 27-28]

فَإِذَا دَخَلُوا النَّارَ وَذَاقُوا مَسَّهَا وَ حَسِيسَهَا وَ مَقَامِعَهَا وَ أَغْلَالَهَا كَانَ سُؤْلُهُمْ لِلرَّجْعَةِ أَشَدَّ وَ أَعْظَمَ

{وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ

فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فاطر: 37]

{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ} [المؤمنون: 107-108]

وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَلَطَّفُوا فِي السُّؤَالِ وَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ كَلَامِهِمْ مُقَدِّمَةً وَ هِيَ قَوْلُهُمْ:

{رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ}

أَي: قُدْرَتِكَ عَظِيمَةً فَإِنَّكَ أَحْيَيْتَنَا بَعْدَ مَا كُنَّا أَمْوَاتًا ثُمَّ أَمَتْنَا ثُمَّ أَحْيَيْتَنَا فَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى مَا تَشَاءُ وَ قَدْ اعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا

وَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لِأَنفُسِنَا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا {فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ}

أَي: فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبُنَا إِلَى أَنْ تُعِيدَنَا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا؟

فَإِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ لِتَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ فَإِنْ عُدْنَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ فَإِنَّا ظَالِمُونَ.

فَاجِيبُوا إِلَّا سَبِيلَ إِلَى عَوْدِكُمْ وَ مَرْجِعِكُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ عَلَّلَ الْمَنْعَ مِنْ ذَلِكَ بِأَنَّ سَجَايَاكُمْ لَا تَقْبَلُ الْحَقَّ وَ لَا تَقْتَضِيهِ بَلْ تَجَحِّدُهُ وَ تَنْفِيهِ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:-

{ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا} أَي: أَنْتُمْ هَكَذَا تَكُونُونَ وَإِنْ رُدِدْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا

كَمَا قَالَ تَعَالَى:- {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: 28] .

(فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ) لنا (إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ)

طريق نخرج به من النار و تعيدنا به إلى الدنيا لنعمل بطاعتك؟

*أى تحسروا و قالوا ذلك فلم يفد و لم ينجع و وبخوا على عدم فعل أسباب النجاة 11

فقليل لهم:- (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ) لتوحيده و إخلاص العمل له و نهى عن الشرك به

(كَفَرْتُمْ) به و اشمأزت لذلك قلوبكم و نفرتم غاية النفور .

(وَإِنْ يَشْرِكْ بِهِ) و إن يُجعل لله شريك (تُؤْمِنُوا) تُصَدِّقُوا به و تتبعوه .

*أى هذا الذى أنزلكم هذا المنزل و بوأكم هذا المقييل و المحل أنكم تكفرون بالإيمان و تؤمنون بالكفر

ترضون بما هو شر و فساد فى الدنيا و الآخرة و تكرهون ما هو خير و صلاح فى الدنيا و الآخرة .

تؤثرون سبب الشقاوة و الذل و الغضب و تزهدون بما هو سبب الفوز و الفلاح و الظفر

(وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)

(فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ)

الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه:-

1- علو الذات

2- و علو القدر

3- و علو القهر

و من علو قدره:-

1- كمال عدله تعالى

2- و أنه يضع الأشياء مواضعها و لا يساوى بين المتقين و الفجار .

(الْكَبِيرِ)

الذي له الكبرياء و العظمة و المجد فى:-

أسمائه و صفاته و أفعاله المتنزه عن كل آفة و عيب و نقص فإذا كان الحكم له تعالى و قد حكم عليكم

بالخلود الدائم فحكمه لا يغير و لا يبدل 12

من مظاهر قدرة الله 13-15

(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّن السَّمَاءِ رِزْقًا مَّا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ)

يذكر تعالى نعمه العظيمة على عباده بتبيين الحق من الباطل بما يُري عباده من آياته النفسية و الآفاقية و القرآنية

الدالة على كل مطلوب مقصود الموضحة للهدى من الضلال بحيث لا يبقى عند الناظر فيها

و المتأمل لها أدنى شك في معرفة الحقائق و هذا من أكبر نعمه على عباده
حيث لم يُبقِ الحق مشتبهاً و لا الصواب ملتبساً بل نَوَّع الدلالات و وضع الآيات
ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حي عن بينة

*و كلما كانت المسائل أجل و أكبر كانت الدلائل عليها أكثر و أيسر فانظر إلى التوحيد لما كانت مسألته من
أكبر المسائل بل أكبرها كثرت الأدلة عليها العقلية و النقلية و تنوعت و ضرب الله لها الأمثال و أكثر لها من
الاستدلال

و لهذا ذكرها في هذا الموضع و نبه على جملة من أدلتها فقال:-

(فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)

و لما ذكر أنه يُري عباده آياته نبه على آية عظيمة فقال:-

(وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا)

مطرًا به ترزقون و تعيشون أنتم و بهائمكم و ذلك يدل على أن النعم كلها منه
فمنه نعم الدين و هى المسائل الدينية و الأدلة عليها و ما يتبع ذلك من العمل بها. و النعم الدنيوية كلها
كالنعم الناشئة عن الغيث الذي تحيا به البلاد و العباد.

و هذا يدل دلالة قاطعة أنه وحده هو المعبود الذى يتعين إخلاص الدين له كما أنه - وحده - المنعم.

(وَمَا يَتَذَكَّرُ) بالآيات حين يذكر بها

(إِلَّا مَن يُنِيبُ) إلى الله تعالى بالإقبال على محبته و خشيته و طاعته و التضرع إليه

فهذا الذي ينتفع بالآيات و تصير رحمة في حقه و يزداد بها بصيرة **13**

*و لما كانت الآيات تثمر التذكر و التذكرو يوجب الإخلاص لله رتب الأمر على ذلك بالفاء الدالة على السببية

فقال: (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)

و هذا شامل لـ:-

1-دعاء العبادة

2-و دعاء المسألة

و الإخلاص معناه:-

تخليص القصد لله تعالى فى جميع العبادات الواجبة و المستحبة حقوق الله و حقوق عباده.

أى:أخلصوا لله تعالى فى كل ما تدينونه به و تتقربون به إليه.

(وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) لذلك فلا تبالوا بهم و لا يشكم ذلك عن دينكم و لا تأخذكم بالله لومة لائم

فإن الكافرين يكرهون الإخلاص لله وحده غاية الكراهة

كما قال تعالى:- (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)
*مسلم (594) عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ قَالَ:- كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ:-

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَ لَهُ الْفَضْلُ وَ لَهُ الشَّاءُ الْحَسَنُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» وَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهْلُلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ» 14

*ثم ذكر من جلاله و كماله ما يقتضى إخلاص العبادة له فقال:- (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ)

و ارتفعت درجاته ارتفاعاً باين به مخلوقاته و ارتفع به قدره و جلّت أوصافه و تعالت ذاته

أن يتقرب إليه إلا بالعمل الزكي الطاهر المطهر و هو الإخلاص الذى يرفع درجات أصحابه و يقربهم إليه
و يجعلهم فوق خلقه

(ذُو الْعَرْشِ) العلى الأعلى الذى استوى على العرش و اختص به

ثم ذكر نعمته على عباده بالرسالة و الوحي فقال:-

(يُلْقِي الرُّوحَ)

أى: الوحي الذى للأرواح و القلوب بمنزلة الأرواح للأجساد بما فيه نفع العباد و مصلحتهم.

فكما أن الجسد بدون الروح لا يحيا و لا يعيش فالروح و القلب بدون روح الوحي لا يصلح و لا يفلح

(عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) و هم الرسل الذين فضلهم الله و اختصهم الله لوحيه و دعوة عباده.

* وَ قَوْلُهُ:- {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِ}

قَوْلُهُ {يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} [النحل: 2]

وَ كَقَوْلِهِ:- {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 19 نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ 19 عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [الشعراء]

و الفائدة فى إرسال الرسل هو:-

1-تحصيل سعادة العباد فى دينهم و دنياهم و آخرتهم

2-و إزالة الشقاوة عنهم فى دينهم و دنياهم و آخرتهم

و لهذا قال: (لِنُنْذِرَ) من ألقى الله إليه الوحي

(يَوْمَ النَّالِقِ) أى: يخوف العباد بذلك و يحثهم على الاستعداد له بالأسباب المنجية مما يكون فيه.

و سماه (يَوْمَ النَّالِقِ) لأنه يلتقي فيه الخالق و المخلوق و المخلوقون بعضهم مع بعض

و العاملون و أعمالهم و جزاؤهم 15

من أهوال القيامة 16-20

(يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ)

ظاهرون على الأرض قد اجتمعوا فى صعيد واحد لا عوج و لا أمت فيه يسمعهم الداعى و ينفذهم البصر.

(لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) لا من ذواتهم و لا من أعمالهم و لا من جزاء تلك الأعمال.

(لِمَنِ الْمُلْكُ^ط) أى من هو المالك لذلك

(الْيَوْمَ)؟ العظيم الجامع للأولين و الآخرين أهل السماوات و أهل الأرض الذى انقطعت فيه الشركة فى الملك و تقطعت الأسباب و لم يبق إلا الأعمال الصالحة أو السيئة؟

الملك (لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ)

المنفرد فى ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله فلا شريك له فى شىء منها بوجه من الوجوه.

(الْقَهَّارِ) لجميع المخلوقات الذى دانت له المخلوقات و ذلت و خضعت خصوصاً فى ذلك اليوم الذى عنت فيه الوجوه للحى القيوم يومئذ لا تكلم نفس إلا بإذنه.

*مسلم (2788) عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: -
يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُھُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَأَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟
أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَأَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟

أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ 16

.....

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾
 وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١٨﴾
 يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
 لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
 وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 إِنَّهُمْ قَوِيُّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ
 وَهَمَّانَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

(الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) في الدنيا من خير و شر قليل و كثير

* يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَذْلِهِ فِي حُكْمِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَ لَا مِنْ شَرٍّ بَلْ يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا وَ بِالسَّيِّئَةِ وَاحِدَةً

* مسلم (2577) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيَمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:-

يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَ جَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَ أَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِيَّ فَتَضُرُّونِي وَ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَنْتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي

مُلْكِي شَيْئًا

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي

شَيْئًا

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ

مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ (هذا تقريب إلى الإفهام و معناه لا ينقص شيئا أصلاً)

يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَ مَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ

فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ: جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ

(لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ) على أحد بزيادة في سيئاته أو نقص من حسناته

(إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) لا تستبطئوا ذلك اليوم فإنه آت و كل آت قريب.

و هو أيضا سريع المحاسبة لعباده يوم القيامة لإحاطة علمه و كمال قدرته.

*يُحَاسِبُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ كَمَا يُحَاسِبُ نَفْسًا وَاحِدَةً كَمَا قَالَ: {مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كُنُفٍ وَاحِدٌ} [تُفَمَانَ: 28]

و قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [الْقَمَرِ: 50] 17

*يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ}

اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاقْتِرَابِهَا وَ أَنْ الْوَصُولَ إِلَى أَهْوَالِهَا وَ قَلَاقِلِهَا وَ زَلَازِلِهَا

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ} [النَّجْمِ: 57-58]

و قَالَ {اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [الْقَمَرِ: 1] وَ قَالَ {اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ} [الْأَنْبِيَاءِ: 1]

و قَالَ {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} [النَّحْلِ: 1]

و قَالَ {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ} [الْمُلْكِ: 27]

(إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ)

قد ارتفعت و بقيت أفئدتهم هواء و وصلت القلوب من الروع و الكرب إلى الحناجر شاخصة أبصارهم.

(كَظْمِينَ) سَاكِتِينَ- لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صوابا- كاظمين على ما في قلوبهم من الروع

الشديد و المزعجات الهائلة.

*{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النَّبَأِ: 38]

(مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ) قريب و لا صاحب

(وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ) يشفع لهم عند ربهم فيستجاب له

لأن الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه بالشرك و لو قدرت شفاعتهم فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم فلا يقبلها.

*بَلْ قَدْ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ 18

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) و هو النظر الذي يخفيه العبد من جليسه و مقارنه و هو نظر المسارقة

(وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)

مما لم يبينه العبد لغيره فالله تعالى يعلم ذلك الخفى. فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى و أخرى 19

(وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) بالعدل

*لأن قوله حق و حكمه الشرعى حق و حكمه الجزائى حق

و هو المحيط علماً و كتابة و حفظا بجميع الأشياء و هو المنزه عن الظلم و النقص و سائر العيوب

و هو الذي يقضى قضاءه القدرى الذي إذا شاء شيئاً كان و ما لم يشأ لم يكن
و هو الذي يقضى بين عباده المؤمنين و الكافرين فى الدنيا و يفصل بينهم بفتح ينصر به أوليائه و أحبابه.

(وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ) و هذا شامل لكل ما عبد من دون الله [مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ وَ الْأَنْدَادِ]

(لَا يَقْضُونَ شَيْئًا) لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَ لَا يَحْكُمُونَ بِشَيْءٍ -لعجزهم و عدم إرادتهم للخير و استطاعتهم لفعله.

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ) لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات.

(الْبَصِيرُ) بما كان و ما يكون ما نبصر و ما لا نبصر و ما يعلم العباد و ما لا يعلم **20**

قال فى أول هاتين الآيتين (وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ) ثم وصفها بهذه الأوصاف المقتضية للاستعداد لذلك اليوم العظيم
لاشتمالها على الترغيب و التهيب.

يقول تعالى:- (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) بقلوبهم و أبدانهم سير نظر و اعتبار و تفكر فى الآثار

(فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ)

الأمر بالاعتناظ بالأمم السابقة 21-22

من المكذبين فسيجدونها شر العواقب عاقبة:-

الهلاك و الدمار و الخزي و الفضيحة

(كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فى العدد و العدد و كبر الأجسام.

(و) أشد (وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ) من البناء و الغرس و قوة الآثار تدل على قوة المؤثر فيها و على تمنعه بها.

* كَمَا قَالَ:- {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيهَا إِنَّ مَكَّنَّاكُمْ فِيهَا} [الْأَحْقَافِ: 26] وَ قَالَ {وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} [الرُّوم: 9]
وَ مَعَ هَذِهِ الْقُوَّةِ الْعَظِيمَةِ وَ الْبَاسِ الشَّدِيدِ :-

(فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) بعقوبته

(يَذُوبُهُمْ) حين أصروا و استمروا عليها- وَ هِيَ كُفْرُهُمْ بِرُسُلِهِمْ

(وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ) وَ مَا دَفَعَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَحَدٌ وَ لَا رَدَّهُ عَنْهُمْ رَادٌّ وَ لَا وَقَاهُمْ وَّاقٍ **21**

* ثُمَّ ذَكَرَ عَلَيْهِ أَخَذَهُ إِيَّاهُمْ وَ ذُنُوبَهُمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا وَ اجْتَرَمُوهَا فَقَالَ:-

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا) مَعَ هَذَا الْبَيِّنِ وَ الْبُرْهَانِ كَفَرُوا وَ جَحَدُوا

(فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) أَهْلَكَهُمْ وَ دَمَّرَ عَلَيْهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا

(إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ) عِقَابُهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وَ جِيعٌ. أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهُ.

○ فلم تغن قوتهم عند قوة الله شيئاً بل من أعظم الأمم قوة قوم عاد الذين قالوا:- (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)

أرسل الله إليهم ريحا أضعفت قواهم و دمرتهم كل تدمير²²

*ثم ذكر نموذجا من أحوال المكذبين بالرسول وهو فرعون و جنوده فقال: -

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) (23 - 46) إلى آخر القصة.

قصة موسى مع فرعون و هامان و قارون 23-27

أى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) إلى جنس هؤلاء المكذبين

(مُوسَىٰ) ابن عمران

(بِآيَاتِنَا)

العظيمة الدالة دلالة قطعية على حقية ما أرسل به وبطلان ما عليه من أرسل إليهم من الشرك و ما يتبعه

(وَسُلْطَانٍ) حجة (مُّبِينٍ)

بينة تتسلط على القلوب فتدعن لها كالحية و العصا و نحوهما من الآيات البينات التي أيد الله بها موسى

و مكنه مما دعا إليه من الحق و المبعوث إليهم²³

(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ) مَلِكُ الْقِبْطِ بِالذِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ

(وَهَمَنْ) وزيره

(وَقَرُونُ) وَ كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ مَالًا وَ تِجَارَةً الَّذِي كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ بِمَالِهِ وَ كُلَّهُم رَدُّوا عليه أشد الرد

(فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ) كَذَّبُوهُ وَ جَعَلُوهُ سَاحِرًا مُّخْرِقًا مُّمَّوْهًا كَذَّابًا فِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ.

وَ هَذِهِ كَقَوْلِهِ {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ} 52 أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ [الذَّارِيَاتِ] 24

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا)

و أيده الله بالمعجزات الباهرة الموجبة لتمام الإذعان لم يقابلوها بذلك و لم يكفهم مجرد الترك و الإعراض بل و لا إنكارها و معارضتها بباطلهم بل وصلت بهم الحال الشنيعة إلى أن

(قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ)

وَ هَذَا أَمْرٌ ثَانٍ مِنْ فِرْعَوْنَ بِقَتْلِ ذُكُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

أَمَّا الْأَوَّلُ:- فَكَانَ لِأَجْلِ الْإِحْتِرَازِ مِنْ وُجُودِ مُوسَى

الثَّانِي:- أَوْ لِإِذْلالِ هَذَا الشَّعْبِ وَ تَقْلِيلِ عَدَدِهِمْ أَوْ لِمَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ.

وَ أَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي:- فَلِلْعَلَّةِ الثَّانِيَةِ لِإِهَانَةِ هَذَا الشَّعْبِ وَ لِكَيْ يَتَشَاءُوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لِهَذَا قَالُوا:-

{أَوْدَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ

تَعْمَلُونَ} [الأعراف: 129]

(وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ) الَّذِي هُوَ تَقْلِيلُ عَدَدِ بَرَى إِسْرَائِيلَ لئَلَّا يُنْصَرُوا عَلَيْهِمْ

*حيث كادوا هذه المكيدة و زعموا أنهم إذا قتلوا أبناءهم لم يقووا و بقوا في رقهم و تحت عبوديتهم.
فما كيدهم

(إِلَّا فِي ضَلَالٍ)

ذَاهِبٌ وَ هَالِكٌ حيث لم يتم لهم ما قصدوا بل أصابهم ضد ما قصدوا أهلكهم الله و أبادهم عن آخرهم.

و تدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى:-

إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين و أراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم لا يختص به ذكر الحكم و علقه على الوصف العام ليكون أعم و تندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها
و ليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين فلهذا لم يقل بل قال: (وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) 25

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ إِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا نَقَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مَذْرِبِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ) متكبراً متجبراً مغرراً لقومه السفهاء:-

(ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ)

-زعم - قبحه الله- أنه لولا مراعاة خواطر قومه لقتله و أنه لا يمنعه من دعاء ربه
ثم ذكر الحامل له على إرادة قتله و أنه نصح لقومه و إزالة للشر في الأرض فقال:-

(إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) الذي أنتم عليه

(أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)

و هذا من أعجب ما يكون أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير الخلق هذا من التمويه و الترويج
الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم:- (فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) 26

(وَقَالَ مُوسَى)

حين قال فرعون تلك المقالة الشنيعة التي أوجبها له طغيانه و استعان فيها بقوته و اقتداره مستعيناً بربه:-

(إِنِّي عُذْتُ) امتنعت أيها المخاطبون (بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ) بربوبيته التي دبر بها جميع الأمور

(مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ) عن الحق مجرم

(لَا يُؤْمِنُ) يحمله تكبره و عدم إيمانه

(يَوْمَ الْحِسَابِ) على الشر و الفساد-يدخل فيه فرعون و غيره كما تقدم قريباً في القاعدة 27

*فمنعه الله تعالى بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب و قيض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون و ملئه و من جملة الأسباب:-

(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ)

هذا الرجل المؤمن الذي من آل فرعون من بيت المملكة لا بد أن يكون له كلمة مسموعة و خصوصاً إذا كان يظهر موافقتهم و يكتُم إيمانه

فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر كما منع الله رسوله محمداً ﷺ بعمه أبي طالب من قریش

حيث كان أبو طالب كبيراً عندهم موافقاً لهم على دينهم و لو كان مسلماً لم يحصل منه ذلك المنع.

*فَأَخَذَتِ الرَّجُلَ غَضَبَةً لِّلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

*أحمد:-18830- عَنْ طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْعَرَزِ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: -كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ

*فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم مقبلاً فعل قومه و شناعة ما عزموا عليه و تنزل معهم في الْمُخَاطَبَةِ:-

قصة مؤمن آل فرعون 28-46

(أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا) كيف تستحلون قتله و هذا ذنبه و جرمه

(أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) و لم يكن أيضا قولاً مجرداً عن البينات

و لهذا قال:- (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ)

لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهاراً علم به الصغير و الكبير أى: فهذا لا يوجب قتله.

فهلاً أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق و قابلتم البرهان ببرهان يرده ثم بعد ذلك نظرت:-

هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟

فأما و قد ظهرت حجته و استعلى برهانه فيبينكم و بين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطى.

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل بأى حالة قدرت موسى بين أمــــرين:-

الاول:- (وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ)

إما كاذب فى دعواه أو صادق فيها فإن كان كاذباً فكذبه عليه و ضرره مختص به

و ليس عليكم فى ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته و تصديقه

الثانى:- (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا) و إن كان صادقاً و قد جاءكم بالبينات

و أخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذاباً فى الدنيا و عذاباً فى الآخرة فإنه لا بد أن

(يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ) ^ط و هو عذاب الدنيا.

و هذا من حسن عقله و لطف دفعه عن موسى حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم و جعل الأمر دائراً بين تينك الحاليتين و على كل تقدير فقتله سفه و جهل منكم.

*ثم انتقل ﷺ و أرضاه و غفر له و رحمه - إلى أمر أعلى من ذلك و بيان قرب موسى من الحق

فقال:- (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) متجاوز الحد بترك الحق و الإقبال على الباطل.

(كَذَّابٌ) بنسبته ما أسرف فيه إلى الله فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب لا في مدلوله و لا في دليله

و لا يوفق للصراط المستقيم

أى: و قد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق و ما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية و الخوارق السماوية

فالذى اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفاً و لا كذاباً

و هذا دليل على كمال علمه و عقله و معرفته بربه 28

*ثم حذر قومه و نصحهم و خوفهم عذاب الآخرة و نهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر فقال:-

(يَقْوِمُوا لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) فى الدنيا

(ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ) على رعييتكم تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير فهبكم حصل لكم ذلك و تم و لن يتم

(فَمَنْ يَنْصُرُنَا) و هذا من حسن دعوته حيث جعل الأمر مشتركاً بينه و بينهم فقال (فَمَنْ يَنْصُرُنَا)

(مِنْ بَأْسِ اللَّهِ) عذابه

(إِنْ جَاءَنَا)؟ ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه و يرضى لهم ما يرضى لنفسه.

ف— (قَالَ فِرْعَوْنُ) معارضاً له فى ذلك و مغرراً لقومه أن يتبعوا موسى:-

(مَا أُرِيكُمْ) مَا أَقُولُ لَكُمْ وَ أَشِيرُ عَلَيْكُمْ

(إِلَّا مَا أَرَى) إِلَّا مَا أَرَاهُ لِنَفْسِي

وَ قَدْ كَذَّبَ فِرْعَوْنُ فَإِنَّهُ كَانَ يَتَحَقَّقُ صِدْقَ مُوسَى فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ

{ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرٌ } [الإسراء: 102]

وَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَجَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُظْمًا } [النمل: 14]

* و صدق فى قوله:- (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) و لكن ما الذى رأى؟

رأى أن يستخف قومه فيتابعوه ليقم بهم رياسته و لم ير الحق معه بل رأى الحق مع موسى و جحد به مستيقناً

(وَمَا أَهْدِيكُمْ) أَدْعُوكُمْ (إِلَّا سَبِيلَ) طَرِيقِ (الرَّشَادِ) الْحَقِّ وَالصَّادِقِ وَالرُّشْدِ
وَقَدْ كَذَّبَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ قَوْمُهُ قَدْ أَطَاعُوهُ وَاتَّبَعُوهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} [هُود: 97] وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى} [طه: 79]

و فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ

7150 - عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادَ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ
فَقَالَ لَهُ مَعْقِلُ بْنُ مُحَدَّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:-
«مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطُهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»

* و كذب فى قوله: (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) فَإِنْ هَذَا قَلْبٌ لِلْحَقِّ

فلو أمرهم باتباعه اتباعاً مجرداً على كفره و ضلاله لكان الشر أهون و لكنه أمرهم باتباعه

* و زعم أن فى اتباعه اتباع الحق و فى اتباع الحق اتباع الضلال. 29

(وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ)

مكرراً دعوة قومه غير آيس من هدايتهم كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى لا يزالون يدعون إلى ربهم
و لا يردهم عن ذلك رادو لا يشيهم عتو من دعوه عن تكرار الدعوة

فقال لهم:- (يَقُومُوا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ)

يعرى الأمم المكذبين الذين تحزبوا على أنبيائهم و اجتمعوا على معارضتهم 30

ثم بينهم فقال:- (مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ)

مثل عادتهم في الكفر و التكذيب و عادة الله فيهم بالعقوبة العاجلة فى الدنيا قبل الآخرة

(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ) فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه و لا جرم أسلفوه 31

* و لما خوفهم العقوبات الدنيوية خوفهم العقوبات الأخروية فقال:-

(وَيَقُومُوا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ) أى: يوم القيامة حين ينادى أهل الجنة أهل النار:-

(أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا) [الاعراف: 44] إلى آخر الآيات.

(وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ) [الاعراف: 50]

و حين ينادى أهل النار (مالًا لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ) فيقول: (إِنَّكُمْ مَا كُثِرَ)

و حين ينادون ربهم: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) فيجيبهم: (اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)

و حين يقال للمشركين: (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ)

فخوفهم ﷻ هذا اليوم المهول و توجع لهم أن أقاموا على شركهم بذلك 32

و لهذا قال: (يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ) ذاهبين هاربين- قد دُهِبَ بكم إلى النار-

{كَلَّا لَا وَزَرَ* إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [الْقِيَامَةِ: 11-12]

(مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ)

مانع يمنعكم و ناصر ينصركم لا من أنفسكم قوة تدفعون بها عذاب الله و لا ينصركم من دونه من أحد

(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ* فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ)

(وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)

لأن الهدى بيد الله تعالى فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به لخبثه فلا سبيل إلى هدايته **33**

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُفْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنِي لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا مِنْ عَمَلِ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُتِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

(وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ) بن يعقوب عليهما السلام

(من قَبْلُ) إتيان موسى

(بِالْبَيِّنَاتِ)

الدالة على صدقه و أمركم بعبادة ربكم وحده لا شريك له-فَمَا أَطَاعُوهُ تِلْكَ السَّاعَةَ إِلَّا لِمُجَرَّدِ الْوَزَارَةِ وَ الْجَاهِ الدُّنْيَوِيِّ وَ لِهَذَا قَالَ:-

(فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ) في حياته

(حَتَّى إِذَا هَلَكَ) مات (ازداد شككم و شرككم)-يَيْسْتُمْ فَقُلْتُمْ طَامِعِينَ

(قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا)

هذا ظنكم الباطل و حسابانكم الذي لا يليق بالله تعالى

فإنه تعالى لا يترك خلقه سدى لا يأمرهم و ينهاهم و يرسل إليهم رسله و ظن أن الله لا يرسل رسولا ظن ضلال

و لهذا قال:- (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ)

و هذا هو وصفهم الحقيقي الذي وصفوا به موسى ظلماً و علوا فهم المسرفون بتجاوزهم الحق و عدولهم عنه إلى الضلال و هم الكذبة حيث نسبوا ذلك إلى الله و كذبوا رسوله.

فالذي وصفه السرف و الكذب لا ينفك عنهما لا يهديه الله و لا يوفقه للخير لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه

و عرفه

فجزأوه أن يعاقبه الله بأن يمنعه الهدى كما قال تعالى :-

(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

(مُرْتَابٌ) ارتياب قلبه - شك في وحدانية الله تعالى 34

*ثم ذكر وصف المسرف الكذاب فقال:- (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ)

التي بينت الحق من الباطل و صارت - من ظهورها - بمنزلة الشمس للبصر فهم يجادلون فيها على وضوحها ليدفعوها و يبطلوها

(بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) حجة و برهان (أَتَنَّهُمْ)

و هذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله فإنه من المحال أن يجادل بسلطان لأن الحق لا يعارضه معارض فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصلا

(كَبُرَ) ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل

(مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا)

فالله أشد بغضا لصاحبه لأنه تضمن التكذيب بالحق و التصديق بالباطل و نسبته إليه و هذه أمور يشدد بغض الله لها و لمن اتصف بها و كذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم و هؤلاء خواص خلق الله تعالى فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه
*وَالْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا يُبْغَضُونَ مَنْ تَكُونُ هَذِهِ صِفَتُهُ فَإِنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَ لِهَذَا قَالَ:-

(كَذَلِكَ) كما طبع على قلوب آل فرعون

(يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ) يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يَعْرِفُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْرُوفًا وَ لَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا

(مُتَكَبِّرٍ) في نفسه على الحق برده و على الخلق باحتقارهم

(جَبَّارٍ) بكثرة ظلمه و عدوانه 35

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ)

معارضا لموسى و مكذبا له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين الذي على العرش استوى و على الخلق اعتلى :-

(يَنْهَمْنُ آبَنِي صَرْحًا) بناء عظيمًا مرتفعًا - الْقَصْرُ الْعَالِي الْمُنِيفُ الشَّاهِقُ.

وَ كَانَ اتِّخَاذُهُ مِنَ الْأَجْرِ الْمَضْرُوبِ مِنَ الطِّينِ الْمَشْوِيِّ كَمَا قَالَ:-

{فَأَوْقَدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا} [الْقَصَص: 38]

(لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ) أَبْوَابٍ - طرق (الْأَسْمَوَاتِ) و القصد منه لعلّي

(فَأُطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا)

فى دعواه أن لنا ربًا و أنه فوق السماوات. و لكنه يريد أن يحتاط فرعون و يختبر الأمر بنفسه
قال الله تعالى فى بيان الذي حملة على هذا القول:-

(وَكَذَلِكَ زَيْنَ) زين و دعا الشيطان

(لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ) حتى رآه حسنًا و دعا إليه و ناظر مناظرة المحققين و هو من أعظم المفسدين

(وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ) الحق بسبب الباطل الذى زَيَّنَ له

(وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ) الذى أراد أن يكيد به الحق و يوهم به الناس أنه محق و أن موسى مبطل

(إِلَّا فِي تَبَابٍ) خسار و بوار لا يفيد إلا الشقاء فى الدنيا و الآخرة 37

(وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ) معيدًا نصيحته لقومه:-

(يَقَوْمِ أَتَبْعُونَ أَهْدَكُم سَبِيلَ الرَّشَادِ) لا كما يقول لكم فرعون فإنه لا يهديكم إلا طريق الغى و الفساد 38

(يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْنَعٌ)

يتمتع بها و يتنعم قليلا ثم تنقطع و تضمحل فلا تغرنكم و تخدعنكم عما خلقتكم له

(وَلِإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)

التي هى محل الإقامة و منزل السكون و الاستقرار فينبغى لكم أن تؤثروها و تعملوا لها عملا يسعدكم فيها 39

(مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً) من شرك أو فسوق أو عصيان

(فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا) لا يجازى إلا بما يسوؤه و يحزنه لأن جزاء السيئة السوء.

(وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَى) من أعمال القلوب و الجوارح و أقوال اللسان

(وَهُوَ مُؤْمِنٌ) بالله موحد له

(فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) بلا حد و لا عد بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم 40

﴿٤١﴾ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤٢﴾ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقْرِ ﴿٤٣﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبِ الْأُسْرَفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٤﴾ فَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٥﴾ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَلَوْ حَاقَ بِهَا فِرْعَوْنُ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ يَتَحَاوَتُ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٨﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٥٠﴾

(وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى) بما قلت لكم

(وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ) بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام 41

ثم فسر ذلك فقال: (تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) أنه يستحق أن يعبد من دون الله و القول على الله بلا علم من أكبر الذنوب و أقبحها

(وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ) الذي له القوة كلها و غيره ليس بيده من الأمر شيء

(الْفَقْرِ) الذي يسرف العباد على أنفسهم و يتجرؤون على مساخطه

ثم إذا تابوا و أنابوا إليه كفر عنهم السيئات و الذنوب و دفع موجباتها من العقوبات الدنيوية و الأخروية 42

(لَا جَرَمَ) أي: -حقًا يقينًا

(أَنَّمَا تَدْعُونِي) أن ما تدعونني (إِلَيْهِ) إلى الاعتقاد به

(لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ) لا يستحق من الدعوة إليه و الحث على اللجا إليه

(فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ) لعجزه و نقصه و أنه لا يملك نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا.

(وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) تعالى فسيجازي كل عامل بعمله.

(وَأَبِ الْأُسْرَفِينَ) و هم الذين أسرفوا على أنفسهم -

1-التجسس على ربه بمعاصيه 2- والكفر به دون غيرهم.

(هُم أَصْحَابُ النَّارِ) 44

فلما نصحهم و حذَّرهـم و أنذرهم و لم يطيعوه و لا وافقوه قال لهم:-

(فَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ)

من هذه النصيحة و سترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب و تحرمون جزيل الثواب .

(وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) ألجأ إليه و اعتصم و ألقى أموري كلها لديه و أتوكل عليه في مصالحى و دفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم.

(إِنَّ اللَّهَ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ) يعلم أحوالهم و ما يستحقون

يعلم حالى و ضعفى فيمنعنى منكم و يكفىرى شركم و يعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته و مشيئته

فإن سلطكم علي فبحكمة منه تعالى و عن إرادته و مشيئته صدر ذلك 44

(فَوَقَّهَ اللَّهُ) القوَّى الرحيم ذلك الرجل المؤمن الموفق

(سَيِّئَاتٍ)عقوبات

(مَا مَكَرُوا) مكر فرعون و آله من :-

إرادة إهلاكه و إتلافه لأنه بادأهم بما يكرهون و أظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام

و دعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى و هذا أمر لا يحتملونه و هم الذين لهم القدرة إذ ذاك

و قد أغضبهم و اشتد حنقهم عليه فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم و مكرهم و انقلب كيدهم و مكرهم على أنفسهم

(وَحَاقَ) حَلَّ (بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)

أغرقهم الله تعالى فى صبيحة واحدة عن آخرهم 46

و فى البرزخ :-

(النَّارُ) ثم يُعَذَّبُونَ فى قبورهم حيث النار

(يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا عَذَابًا) صباحًا

(وَعَشِيًّا) و مساء إلى وقت الحساب

(وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ) يقال: أَدْخِلُوا آلَ فرعون

(أَشَدَّ الْعَذَابِ) النار جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء-و هذه الآية أصل في إثبات عذاب القبر.

*فهذه العقوبات الشنيعة التي تحل بالمكذبين لرسول الله المعاندين لأمره 46

* يخبر تعالى عن تخاصم أهل النار و عتاب بعضهم بعضاً و استغاثتهم بخزنة النار و عدم الفائدة في ذلك

فقال:- (وَلَاذِ يَتَحَابُّونَ) يتخاصم أهل النار و يعاتب بعضهم بعضاً (فِي النَّارِ)

يحتج التابعون بإغواء المتبوعين و أنهم زينوا لهم طريق الشقاء و يتبرأ المتبوعون من التابعين

(فَيَقُولُ الضَّعَفَاءُ) أى: الأتباع للقادة

حوار بين الضالين و المضلين و أهل النار و خزنتها 47-50

(لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) على الحق و دعوهم إلى ما استكبروا لأجله.

(إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) أنتم أغويتمونا و أضللتُمونا و زينتم لنا الشرك و الشر

(فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ) بتحملكم قسطاً من عذابنا و لو قليلاً 47

(قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) مبينين لعجزهم و نفوذ الحكم الإلهي في الجميع:-

(إِنَّا كُلٌّ فِيهَا) لا نتحمل عنكم شيئاً من عذاب النار و كلُّنا فيها لا خلاص لنا منها

(إِنكُمُ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ)

و جعل لكل قسطه من العذاب بقدر ما يستحق كلُّ منا بقضائه العادل فلا يزداد في ذلك و لا ينقص منه

و لا يغير ما حكم به الحكيم 48

(وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ) من المستكبرين و الضعفاء

(لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ) لعله تحصل بعض الراحة 49

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥١﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥٢﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ لَهُمْ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٤﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٥﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٧﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾

*لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنْهُمْ وَلَا يَسْتَمِعُ لِدُعَائِهِمْ بَلْ قَدْ قَالَ: {اُخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا} [الْمُؤْمِنُونَ: 108] سَأَلُوا الْخِزْنََةَ - وَهُمْ كَالْبَوَّابِينَ لِأَهْلِ النَّارِ - أَنْ يَدْعُوا لَهُمْ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنِ الْكَافِرِينَ وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الْعَذَابِ ف— (قَالُوا)

لهم موبخين و مبينين أن شفاعتهم لا تنفعهم و دعاءهم لا يفيدهم شيئاً:-

(أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ)

التي تبينتم بها الحق و الصراط المستقيم و ما يقرب من الله و ما يبعد منه؟

*قد جاءونا بالبينات و قامت علينا حجة الله البالغة فظلمنا و عاندنا الحق بعد ما تبين.

(قَالُوا) أى: الخزنة لأهل النار متبرئين من الدعاء لهم و الشفاعة:-

(فَادْعُوا) أنتم و لكن هذا الدعاء هل يغنى شيئاً أم لا؟

قال تعالى:- (وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)

باطل لاغ لأن الكفر محبط لجميع الأعمال صَادَّ لِإِجَابَةِ الدَّعَاءِ- لَا يُتَقَبَّلُ وَ لَا يُسْتَجَابُ 50

*لما ذكر عقوبة آل فرعون فى الدنيا و البرزخ و يوم القيامة و ذكر حالة أهل النار الفظيعة الذين نابذوا رسله

و حاربوهم قال:- (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

بالحجة و البرهان و النصر فى الآخرة بالحكم لهم و لأتباعهم بالشواب و لمن حاربهم بشدة العقاب

*قَدْ أوردَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّا لَنُضِرُّ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا سُوءًا فَقَالَ: -

قَدْ عَلِمَ أَنَّ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَتَلَهُ قَوْمُهُ بِالْكُلِّيَّةِ كَيْحَيٍّ وَ زَكْرِيَّا وَ شَعْيَاءَ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ إِمَّا مُهَاجِرًا كَأِبْرَاهِيمَ وَ إِمَّا إِلَى السَّمَاءِ كَعِيسَى فَأَيْنَ النُّصْرَةُ فِي الدُّنْيَا؟ ثُمَّ أَجَابَ عَنْ ذَلِكَ بِجَوَابَيْنِ: -أَحَدُهُمَا:-

أَنَّ يَكُونَ الْخَبْرُ خَرَجَ عَامًّا وَ الْمُرَادُ بِهِ الْبَعْضُ قَالَ: وَ هَذَا سَائِغٌ فِي اللُّغَةِ.

الثاني:- أَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالنُّصْرِ الْإِنْتِصَارُ لَهُمْ مِمَّنْ آذَاهُمْ وَ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِحَضَرَتِهِمْ أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ

(وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ النُّصْرَةُ أَعْظَمَ وَ أَكْبَرَ وَ أَجَلٌ 51

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ) وَ هُمُ الْمُشْرِكُونَ

(مَعْذِرَتُهُمْ) حين يعتذرون لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ عُذْرٌ وَ لَا فِدْيَةٌ

(وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)

الدار السيئة التي تسوء نازلها وَ هِيَ النَّارُ بِئْسَ الْمَنْزِلُ وَ الْمَقِيلُ وَ سُوءُ الْعَاقِبَةِ 52

لما ذكر ما جرى لموسى وَ فرعون وَ ما آل إليه أمر فرعون وَ جنوده ثم ذكر الحكم العام الشامل له وَ لأهل

النار قال (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى) الآيات وَ العلم الذي يهتدي به المهتدون.

(وَأَوْثَقْنَا بِنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ) جعلناه متوارثًا بينهم من قرن إلى آخر وَ هو التوراة

وَ ذلك الكتاب مشتمل على الـ (هُدًى):-

هو العلم بالأحكام الشرعية وَ غيرها

(وَذَكَرْنَا) التذكر للخير بالترغيب فيه وَ عن الشر بالترهيب عنه وَ ليس ذلك لكل أحد

وَ إنما هو (لأُولَى الْأَلْبَابِ) الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ السَّلِيمَةُ 54

(فَاصْبِرْ) يا أيها الرسول كما صبر من قبلك من أُولَى الْعِزْمِ المرسلين.

(إِن كَذَبَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) ليس مشكوكًا فيه أَوْ فيه ريب أَوْ كَذِبٌ حَتَّى يَغْسُرَ عَلَيْكَ الصَّبْرُ

وَ إنما هو الحق المحض وَ الهدى الصرف الذى:-

1- يصبر عليه الصابرون على طاعة الله وَ عن ما يكره الله.

2- وَ يجتهد فى التمسك به أهل البصائر.

*وَعَدْنَاكَ:-

1- أَنَّا سَنُعَلِّى كَلِمَتَكَ

2- وَ نَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لَكَ وَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ وَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

(وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ) المانع لك من تحصيل فوزك و سعادتك

فأمره بـ

1- الصبر الذى فيه يحصل المحبوب

2- و بالاستغفار الذى فيه دفع المحذور

(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) و بالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصاً

(بِالْعَشِيِّ) فِي أَوَاخِرِ النَّهَارِ وَ أَوَائِلِ اللَّيْلِ (العصر) (ليس المراد وقت العشاء)

(وَالْإِبْكَارِ) وَ هِيَ أَوَائِلُ النَّهَارِ وَ أَوَاخِرُ اللَّيْلِ.

اللذين هما أفضل الأوقات و فيهما من الأوراد و الوظائف الواجبة و المستحبة ما فيهما لأن في ذلك عوناً على

جميع الأمور 55

(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) يخبر تعالى أن من جادل في آياته ليبطلها بالباطل

الكبر و عاقبته 56-76

(يَغْيِرُ سُلْطَانِي) بينة من أمره و لا حجة

(أَتْلَهُمْ إِنْ) مَا (فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ) عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَ اخْتِقَارُ لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِ
وَ لَيْسَ مَا يَرُومُونَهُ مِنْ إِخْمَالِ الْحَقِّ وَ إِغْلَاءِ الْبَاطِلِ بِحَاصِلٍ لَهُمْ بَلِ الْحَقُّ هُوَ الْمَرْفُوعُ وَ قَوْلُهُمْ وَ قَصْدُهُمْ
هُوَ الْمَوْضُوعُ

* إن هذا صادر من كبر في صدورهم على الحق و على من جاء به يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل
فهذا قصدهم و مرادهم. و لكن هذا لا يتم لهم

(مَاهُمْ^٤) ليسوا (بِكَافِرِينَ)

فهذا نص صريح و بشارة بأن كل من جادل الحق أنه مغلوب و كل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل.

(فَأَسْتَعِذْ) اعتصم و الجأ

(بِاللَّهِ) و لم يذكر ما يستعيز إرادة للعموم

أى: - استعـذ بالله من: - الكبر الذى يوجب التكبر على الحق

و استعـذ بالله من: - شياطين الإنس و الجن

و استعـذ بالله من: - جميع الشرور.

(إِنَّكُمُ هُوَ السَّكِينُ) لجميع الأصوات على اختلافها

(الْبَصِيرُ) بجميع المرئيات بأي محل و موضع و زمان كانت 56

* يخبر تعالى بما تقرر في العقول (لَخَلْقُ) أن خلق

(السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) على عظمهما و سعتهما - أعظم و (أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ)

فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات و الأرض من أصغر ما يكون

فالذى خلق الأجرام العظيمة و أتقنها قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى و أخرى.

و هذا أحد الأدلة العقلية الدالة على البعث دلالة قاطعة بمجرد نظر العاقل إليها يستدل بها استدلالاً لا يقبل الشك و الشبهة بوقوع ما أخبر به الرسل من البعث.

و ليس كل أحد يجعل فكره لذلك و يقبل بتدبره

و لهذا قال: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) لا يعتبرون بذلك و لا يجعلونه منهم على — الـ 57

ثم قال تعالى:- (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) كما لا يستوى الأعمى و البصير

كذلك لا يستوى (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من آمن بالله و عمل الصالحات

كذلك لا يستوى (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من كان مستكبراً على عبادة ربه مقدماً على معاصيه ساعياً في مساخطه

(فَلْيَلَا مَا تَتَذَكَّرُونَ) تذكركم — قليل .

و إلا فلو تذكرتم مراتب الأمور و منازل الخير و الشر والفرق بين الأبرار و الفجار و كانت لكم همة عليه

لَا تُرْتَم:-

النافع على الضار

و الهدى على الضلال

و السعادة الدائمة على الدنيا الفانية 58

.....

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانَُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْمَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ إِنَّكُمْ أَلَدُّ رُبُكُمْ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهُيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأَمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

(إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ) لكائنة واقعة

(لَا رَيْبَ فِيهَا)

قد أخبرت بها الرسل الذين هم أصدق الخلق و نطقت بها الكتب السماوية التي جميع أخبارها أعلى مراتب الصدق و قامت عليها الشواهد المرئية و الآيات الأفقية.

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)

يصدقون بها بل يكذبون بها- مع هذه الأمور التي توجب كمال التصديق و الإذعان 59

(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)

هذا من لطفه بعباده و نعمته العظيمة حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم و دنياهم

و أمرهم بدعائه:-

1- دعاء العبادة

2- و دعاء المسألة

و وعدهم أن يستجيب لهم و توعدهم من استكبر عنها فقال:-

(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) دليلين حقيرين

يجتمع عليهم العذاب و الإهانة جزاء على استكبارهم.

* هَذَا مِنْ فَضْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَ كَرَمِهِ أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ وَ تَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ

كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ:-

يَا مَنْ أَحَبَّ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ وَيَا مَنْ أَبْغَضَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَ لَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يَا رَبِّ.

* وَ فِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ:- اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَ بُنِيَ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

* أبي داود 479- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:- الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ **إِنَّا رَبُّكُمْ أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** [غافر]

* أحمد 6677 عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:-

يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ النَّاسِ يَغْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ حَتَّى يَدْخُلُوا سَجَنًا فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ

* تدبر هذه الآيات الكريمات الدالة على سعة رحمة الله تعالى و جزيل فضله و وجوب شكره و كمال قدرته

و عظيم سلطانه و سعة ملكه و عموم خلقه لجميع الأشياء و كمال حياته و اتصافه بالحمد على كل ما اتصف

به من الصفات الكاملة و ما فعله من الأفعال الحسنة و تمام ربوبيته و انفراده فيها

و أن جميع التدبير في العالم العلوى و السفلى فى ماضى الأوقات و حاضرها و مستقبلها بيد الله تعالى

ليس لأحد من الأمر شىء و لا من القدرة شىء

فينتج من ذلك:-

1- أنه تعالى المألوه المعبود وحده الذي لا يستحق أحد من العبودية شيئاً كما لم يستحق من الربوبية شيئاً

2- امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى و محبته و خـوفه و رجـائه

و هذان الأمران - و هما معرفته و عبـادته - :-

هما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما و هما الغاية المقصودة منه تعالى لعباده

و هما الموصلان إلى كل خير و فلاح و صلاح و سعادة دنيوية و أخروية

و هما اللذان هما أشرف عطايا الكريم لعباده و هما أشرف اللذات على الإطلاق

و هما اللذان إن فاتا فات كل خير و حضر كل شر.

فنسأله تعالى أن يملأ قلوبنا بمعرفته و محبته و أن يجعل حركاتنا الباطنة والظاهرة خالصة لوجهه تابعة لأمره

إنه لا يتعاضمه سؤال و لا يحفيه نوال 60

فقوله تعالى:- (**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ**) لأجلكم جعل الله الليل مظلمًا

(**لِتَسْكُنُوا فِيهِ**) من حركاتكم التي لو استمرت لضرت فتأوون إلى فرشكم

* و يلقي الله عليكم النوم الذى يستريح به القلب و البدن و هو من ضروريات الآدمى لا يعيش بدونه

* و يسكن أيضًا كل حبيب إلى حبيبه و يجتمع الفكر و تقل الشواغل.

(و) جعل تعالى (**وَالْتَهَارَ مُبْصِرًا**) مضيئًا-منيرًا بالشمس المستمرة في الفلك

فتقومون من فرشكم إلى أشغالكم الدينية و الدنيوية هذا لذكره و قراءته و هذا لصلاته و هذا لطلبه العلم

و دراسته و هذا لبيعه و شرائه و هذا لبنائه أو حدادته أو نحوها من الصناعات و هذا لسفره برًا و بحرًا
و هذا لفلاحته و هذا لتصليح حيواناته

(إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ) عظيم كما يدل عليه التنكير

(عَلَى النَّاسِ) حيث أنعم عليهم بهذه النعم و غيرها و صرف عنهم النقم و هذا يوجب عليهم تمام شكره و ذكره

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) بسبب جهلهم و ظلمهم (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ)

الذين :-

1- يقرون بنعمة ربهم

2- و يخضعون لله

3- و يحبونه

4- و يصرفونها في طاعة مولاهم و رضاه 61

(ذَلِكَمُ) الذي فعل ما فعل

(اللَّهُ رَبُّكُمْ) المنفرد بالإلهية و المنفرد بالربوبية- لأن انفراده بهذه النعم من ربوبيته و إيجابها للشكر من ألوهيته

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) تقرير أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له

(خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) تقرير لربوبيته.

ثم صرح بالأمر بعبادته فقال:-

(فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى) كيف (تُوقَوْنَ) تصرفون عن عبادته وحده لا شريك له بعد ما أبان لكم الدليل و أنار لكم السبيل؟ 62

(كَذَلِكَ يُؤْفِكُ) يُصْرِفُ

(الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) أى: عقوبة على:-

1- جحدهم لآيات الله

2- و تعديهم على رسله

صُفُّوا عَنِ التَّوْحِيدِ و الإخلاص كما قال تعالى:-

(وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)
* كَمَا ضَلَّ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ كَذَلِكَ أَفَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَعَبَدُوا غَيْرَهُ بَلَا دَلِيلٍ وَ لَا بُرْهَانَ بَلْ مَجْرَدُ

الْجَهْلِ وَ الْهَوَى وَ جَحَدُوا حُجَجَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ 63

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا)

قارة ساكنة مهيأة لكل مصالحكم تتمكنون من حراثتها و غرسها و البناء عليها و السفر و الإقامة فيها.

(وَالسَّمَاءَ بَنَاءً) سقفاً للأرض التي أنتم فيها قد جعل الله فيها ما تنتفعون به من الأنوار و العلامات

التي يهتدى بها في ظلمات البر و البحر

(وَصَوَّرَكُمْ) فَخَلَقَكُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ (فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ) مَدَحَكُمْ أَكْمَلَ الصُّورِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ

○ فليس في جنس الحيوانات أحسن صورة من بني آدم كما قال تعالى:-(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

وإذا أردت أن تعرف حسن الآدمي و كمال حكمة الله تعالى فيه فانظر إليه عضوًا عضوًا

هل تجد عضوًا من أعضائه يليق به و يصلح أن يكون في غير محله؟

و انظر أيضًا إلى الميل الذي في القلوب بعضهم لبعض هل تجد ذلك في غير الآدمين؟

و انظر إلى ما خصه الله به من العقل والإيمان و المحبة و المعرفة التي هي أحسن الأخلاق المناسبة لأجمل الصور.

(وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) هذا شامل لكل طيب من:-

مأكـل و مشرب و منـكح و ملبس و منظر و مسمع و غير ذلك من الطيبات التي يسرها الله لعباده

و يسر لهم أسبابها

و منهم من الخبائث التي تضادها- و تضر أبدانهم و قلوبهم و أديانهم

(ذَلِكُمْ) الذي دبر الأمور و أنعم عليكم بهذه النعم

(اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ) تعظم و كثر خيره و إحسانه

(رَبُّ الْعَالَمِينَ) المربي جميع العالمين بنعمه 64

(هُوَ الْحَيُّ) الذي له الحياة الكاملة التامة المستلزمة لما تستلزمه من صفاته الذاتية التي لا تتم حياته إلا بها

ك:- السمع و البصر و القدرة و العلم و الكلام و غير ذلك من:-

صفات كماله و نعوت جلاله.

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) لا معبود بحقوق إلا وجهه الكريم- لَا نَظِيرَ لَهُ وَ لَا عَدِيلَ لَهُ

(فَاذْعُوهُ) وهذا شامل ل:-

1- دعاء العبادة

2- و دعاء المسألة

(مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) اقصدوا بكل عبادة و دعاء و عمل وجه الله تعالى فإن الإخلاص هو المأمور به

كما قال تعالى:-(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) جميع المحامد و المدائح و الشناء

بالقول :- كـنطق الخلق بذكره

و الفعل :- كـعبادتهم لله

كل ذلك لله تعالى وحده لا شريك له :-كـماله في أوصافه و أفعاله و تمام نعمه 64

*لما ذكر الأمر بإخلاص العبادة لله وحده و ذكر الأدلة على ذلك و البينات صرح بالنهاى عن عبادة ما سواه

فقال :- (قُلْ) يا أيها النبى

(إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الأوثان و الأصنام و كل ما عبد من دون الله.

و لست على شك من أمرى بل على يقين و بصيرة

و لهذا قال :- (لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

بقلى و لسانى و جوارحى بحيث تكون منقاداة لطاعته مستسلمة لأمره

و هذا أعظم مأمور به على الإطلاق كما أن النهى عن عبادة ما سواه أعظم منهى عنه على الإطلاق 66

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ
 ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾
 هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي عِبَادِ
 اللَّهِ آتِيَّ يُصَرَّفُونَ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا سَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾
 إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٨١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٨٢﴾
 ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آتِينَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٨٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا
 كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٨٥﴾
 ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٨٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
 فَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا يُرْجَعُونَ ﴿٨٧﴾

ثم قرر هذا التوحيد بأنه الخالق لكم و المطور لخلقكم فكما خلقكم وحده فاعبدوه وحده فقال:-

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) و ذلك بخلقه لأصلكم و أبيكم آدم عليه السلام

(ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) و هذا ابتداء خلق سائر النوع الإنساني ما دام في بطن أمه فنبه بالابتداء على بقية الأطوار

(ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) من العلقه فالمضغة فالعظام فنفخ الروح

(ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) ثم هكذا تنتقلون في الخلقة الإلهية

(ثُمَّ) حتى (لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ) من قوة العقل و البدن و جميع قواه الظاهرة و الباطنة

(ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلٍ) بلوغ الأشد

(وَلِتَبْلُغُوا) بهذه الأطوار المقدره

(أَجَلاً مُّسَمًّى) تنتهي عنده أعماركم

(وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أحوالكم فتعلمون أن المطور لكم في هذه الأطوار كامل الاقتدار

و أنه الذي لا تنبغى العبادة إلا له و أنكم ناقصون من كل وجهه 67

(هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) أي هو المنفرد بالإحياء و الإماتة فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب إلا بإذنه.

(وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

(فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُكَ) جليلا أو حقيرا

(فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) لا رد في ذلك و لا مشوية و لا تمنع 68

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) الواضحة البينة متعجبا من حالهم الشنيعة

(أَفَنُ) كيف (يُصَرِّفُونَ) ينعدلون عنها؟

و إلى أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟

هل يجدون آيات بينات تعارض آيات الله؟

لا و الله. أم يجدون شبها توافق أهواءهم و يصلون بها لأجل باطلهم؟

(الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا) من الهدى و البينات

* فبئس ما استبدلوا و اختاروا لأنفسهم بتكذيبهم بالكتاب الذى جاءهم من الله وبما أرسل الله به رسوله

الذين هم خير الخلق و أصدقهم و أعظمهم عقولا فهؤلاء لا جزاء لهم سوى النار الحامية

و لهذا توعدهم الله بعذابها فقال:- (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) كَمَا قَالَ تَعَالَى:- (وَيُلِيَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ) [الْمُرْسَلَات: 15] 70

(إِذَا الْأَغْلالُ فِي أَعْنَقِهِمْ) التى لا يستطيعون معها حركة

(وَالسَّلْسِلُ) التى يقرنون بها هم و شياطينهم. مُتَّصِلَةٌ بِالْأَغْلالِ بِأَيْدِي الزَّبَانِيَةِ

(يُسْحَبُونَ) يَسْحَبُونَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ 71

(فِي الْحَمِيمِ) الماء الذى اشتد غليانه و حره- تَارَةً إِلَى الْحَمِيمِ

(ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) و تَارَةً إِلَى الْجَحِيمِ

يوقد عليهم اللهب العظيم فيصلون بها ثم يوبخون على شركهم و كذبهم. كما قال:

{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ} 4 يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ { [الرَّحْمَنِ]

وَ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِهِ أَكْلُهُمُ الرِّقُّومَ وَ شُرْبُهُمُ الْحَمِيمَ: {ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ} [الصَّافَات: 68]

وَ قَالَ {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ. وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} إِلَى أَنْ قَالَ:

{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الصَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ فَمَالِثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ

شُرْبَ الْهِيمِ. هَذَا نَزَلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} [الْوَاقِعَةُ: 41- 56]

وَ قَالَ {إِنَّ شَجَرَةَ الرِّقُّومِ* طَعَامُ الْأَيْمِ* كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ* كَغَلْيِ الْحَمِيمِ* خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ* ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ

رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ* ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ* إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ} [الدُّخَان: 43- 50] 72

(ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ) هل نفعوكم أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟

(قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) غابوا و لم يحضروا و لو حضروا لم ينفعوا ثم إنهم أنكروا فقالوا:-

(بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا)

اقروا على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون و أنه ليس لله شريك في الحقيقة و إنما هم ضالون مخطئون بعبادة معدوم الإلهية

(كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا الضلال الواضح لكل أحد حتى إنهم بأنفسهم يقرون ببطلانه يوم القيامة

و يتبين لهم معنى قوله تعالى: - (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّلْمَ) و يدل عليه قوله تعالى: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) الآيات

* كَوَلِّهِ تَعَالَى: {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَنَتْنُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: 23] 74

* و يقال لأهل النار (ذَلِكَ) العذاب الذي نوع عليكم

(بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ) بما تقترفونه من المعاصي و الآثام

(يَغْيِرُ الْحَقِّ) _____ :-

1-الباطل الذي أنتم عليه

2-و بالعلوم التي خالفتكم بها علوم الرسل

(وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) على عباد الله بغيا و عدوانا و ظلما و عصيانا [و من الأشر و البطر]

كما قال تعالى في آخر هذه السورة: - (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ

و كما قال قوم قارون له (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)

و هذا هو الفرح المذموم الموجب للعقاب بخلاف الفرح الممدوح الذي قال الله فيه:-

(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا)

و هو الفرح ب_____ :-

1-العلم النافع

2-و العمل الصالح. 75

(ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) كل طبقة من طبقاتها على قدر عمله

(خَالِدِينَ فِيهَا) لا يخرجون منها أبدًا

(فَبِئْسَ) فبئس جهم

(مَثْوًى) نزلوا. يخزون فيه و يهانون و يحبسون و يعذبون و يترددون بين حرها و زمهريرها.

لهؤلاء (الْمُتَكَبِّرِينَ) في الدنيا على الله 76

توجيهات للنبي ﷺ 77-78

(فَأَصْبِرْ) يا أيها الرسول على دعوة قومك و ما ينالك منهم من أذى و استعن على صبرك بإيمانك

(إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) سينصر دينه و يُعْلِي كلمته و ينصر رسله في الدنيا و الآخرة

و استعن على ذلك أيضًا بتوقع العقوبة بأعدائك في الدنيا و الآخرة

و لهذا قال: (فَكَيْفَ تُزَيِّنُكَ بَعْضُ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ) في الدنيا فذاك

* وَ كَذَلِكَ وَقَعَ فَإِنَّ اللَّهَ أَقَرُّ أَعْيُنُهُمْ مِنْ كِبَرَائِهِمْ وَ عُظَمَائِهِمْ أُبِيدُوا فِي يَوْمٍ بَدْرٍ.

ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَ سَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ ﷺ.

(أَوْ نَتَوَقَّعُكَ) قبل عقوبتهم

(فَالَيْنَا يُرْجَعُونَ)

فجازيهم بأعمالهم (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) فَنَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ فِي الْآخِرَةِ 77

* ثم سلاه و صبره بذكر إخوانه المرسلين فقال:-

.....

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ
وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾
وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا آخَرَهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾
فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَّتْ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) كثيرين إلى قومهم يدعونهم و يصبرون على أذاهم.

(مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ) خبرهم

(وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) وَ هُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ ذَكَرَ بِأَضْعَافٍ أَضْعَافٍ

(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ) و كل الرسل مدبرون ليس بيدهم شيء من الأمر. و ما كان لأحد منهم

(أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ) من الآيات السمعية و العقلية

* وَ لَمْ يَكُنْ لِوَاحِدٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمَهُ بِخَارِقٍ لِلْعَادَاتِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ

(إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) أى: بمشيئته و أمره

فأقترح المقتريين على الرسل الإتيان بالآيات -

1- ظلم منهم

2- و تعنت

3- و تكذيب

بعد أن أيدهم الله بالآيات الدالة على صدقهم و صحة ما جاءوا به.

(فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) بالفصل بين الرسل و أعدائهم و الفتح - وَ هُوَ عَذَابُهُ وَ نَكَالُهُ الْمُحِيطُ بِالْمُكَذِّبِينَ

(قُضِيَ) بينهم

(بِالْحَقِّ) الذى يقع الموقع و يوافق الصواب بإنجاء الرسل و أتباعهم و إهلاك المكذبين و لهذا قال:-

(وَحَسِرَ هُنَالِكَ) أى وقت القضاء المذكور

(الْمُبْطِلُونَ) الذين وصفهم الباطل و ما جاءوا به من العلم و العمل باطل و غايتهم المقصودة لهم باطلة فليحذر هؤلاء المخاطبون أن يستمروا على باطلهم فيخسروا كما خسر أولئك

فإن هؤلاء لا خير منهم و لا لهم براءة في الكتب بالنجاة 78

من نعم الله على عباده 79-81

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ) وَ هِيَ الْإِبِلُ وَ الْبَقَرُ وَ الْغَنَمُ {فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} [يس: 72]

*فَالْإِبِلُ:

تُرْكَبُ وَ تُؤْكَلُ وَ تُحْلَبُ وَ يُحْمَلُ عَلَيْهَا الْأَثْقَالُ فِي الْأَسْفَارِ وَ الرَّحَالِ إِلَى الْبِلَادِ النَّائِيَةِ وَ الْأَقْطَارِ الشَّاسِعَةِ. وَ الْبَقَرُ:- تُؤْكَلُ وَ يُشْرَبُ لَبَنُهَا وَ تُحْرَثُ عَلَيْهَا الْأَرْضُ.

وَ الْغَنَمُ:- تُؤْكَلُ وَ يُشْرَبُ لَبَنُهَا

*وَ الْجَمِيعُ تُجَزُّ أَصْوَافُهَا وَ أَشْعَارُهَا وَ أَوْبَارُهَا فَيَتَّخِذُ مِنْهَا الْأَثَاثُ وَ الثِّيَابُ وَ الْأَمْتَعَةُ

يَمْتَنُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي بِهَا جُمْلَةٌ مِنَ الْإِنْعَامِ:-

1- (لِتَرْكَبُوا مِنْهَا) منافع الركوب عليها و الحمل

2- (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) منافع الأكل من لحومها و الشرب من ألبانها 79

3- منافع الدفء و اتخاذ الآلات و الأمتعة من أصوافها و أوبارها و أشعارها

(وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) إلى غير ذلك من المنافع

4- (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ)

من الوصول إلى الأوطان البعيدة و حصول السرور بها و الفرح عند أهلها

(وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ)

على الرواحل البرية و الفلك البحرية يحملكم الله الذى سخرها و هيأ لها ما هيأ من الأسباب التى لا تتم إلا

بها 80

(وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) الدالة على وحدانيته و أسمائه و صفاته

و هذا من أكبر نعمه حيث أشهد عباده آياته النفسية و آياته الأفقية و نعمه الباهرة و عددها عليهم ليعرفوه و يشكروه و يذكره.

(فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ) أى آية من آياته لا تعترفون بها؟

*فإنكم قد تقرر عندكم أن جميع الآيات و النعم منه تعالى فلم يبق للإنكار محل و لا للإعراض عنها موضع بل أوجبت لذوى الألباب بذل الجهد و استفرغ الوسع للاجتهاد في طاعته و التبتل في خدمته و الانقطاع إليه 81

(**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**) يحث تعالى المكذبين لرسولهم على السير في الأرض بأبدانهم و قلوبهم:-
و سؤال العالمين (**فَيَنْظُرُوا**) نظر فكر و استدلال لا نظر غفلة و إهمال.
(**كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**) من الأمم السالفة كعاد و ثمود و غيرهم
(**كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً**) ممن كانوا أعظم منهم قوة و أكثر أموالا و أشد
(**وَأَشَارًا فِي الْأَرْضِ**) من الأبنية الحصينة و الغراس الأنيقة و الزروع الكثيرة
(**فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**) هـ ——— ن :-

القوة الاموال و الحصون و الاولاد حين حلَّ بهم بأس الله 82

ثم ذكر جرمهم الكبير فقال:- (**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**)

م ——— ن :-

تهديد الكفار و فوات توبتهم يوم العذاب 82-85

1-الكتب الإلهية

2-و الخوارق العظيمة

3-و العلم النافع المبين للهدى من الضلال و الحق من الباطل

(**فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ**) المناقض لدين الرسل.

و من المعلوم أن فرحهم به يدل على:-

1-شدة رضاهم به

2-و تمسكهم

3-و معاداة الحق الذي جاءت به الرسل و جعل باطلهم حقًا

و هذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل

و من أحقها بالدخول في هذا:-

1-علوم الفلسفة

2-و المنطق اليوناني

الذی:-

1-رُدَّتْ به كثير من آيات القرآن

2- و نقصت قدره في القلوب

3- و جعلت أدلته اليقينية القاطعة أدلة لفظية

(لا تفيد شيئاً من اليقين و يقدم عليها عقول أهل السفه و الباطل)

و هذا من أعظم الإلحاد في آيات الله و المعارضة لها و المناقضة فالله المستعان.

(وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) من العذاب 83

(فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) عذابنا أقروا حيث لا ينفعهم الإقرار

(قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ)

من الأصنام و الأوثان و تبرأنا من كل ما خالف الرسل من علم أو عمل.

* وَحَدُّوا اللَّهَ وَ كَفَرُوا بِالطَّاغُوتِ وَ لَكِنْ حَيْثُ لَا تُقَالُ الْعَثْرَاتُ وَ لَا تَنْفَعُ الْمَعْدِرَةُ.

وَ هَذَا كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ حِينَ أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ: {آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يُونُس: 90]

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: {الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [يُونُس: 91]

(فَلَمَّ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) في تلك الحال

و هذه (سُنَّتَ اللَّهِ) و عاداته (الَّتِي قَدْ خَلَتْ) مضت

(فِي عِبَادِهِ) أن المكذبين حين ينزل بهم بأس الله و عقابه إذا آمنوا كان إيمانهم غير صحيح و لا منجياً لهم من

العذاب و ذلك لأنه إيمان ضرورة: - قد اضطروا إليه و إيمان مشاهدة

و إنما الإيمان النافع الذي ينجى صاحبه هو الإيمان الاختياري: -

الذي يكون إيماناً بالغيب و ذلك قبل وجود قرائن العذاب.

* هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ مَنْ تَابَ عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ: - أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ وَ لِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: -

* أحمد 6408 - عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُعْرِغْ

أَيُّ: فَإِذَا غَرَّغَ وَ بَلَغَتِ الرُّوحُ الْحَنْجَرَةَ وَ عَايَنَ الْمَلِكُ فَلَا تَوْبَةَ حِينَئِذٍ وَ لِهَذَا قَالَ: -

(وَحَسِرَ هُنَالِكَ) أى وقت الإهلاك و إذاقة البأس

(الْكَافِرُونَ) دينهم و دنياهم و أخراهم و لا يكفى مجرد الخسارة في تلك الدار

بل لا بد من خسران يشقى في العذاب الشديد و الخلود فيه دائماً أبدياً 85

تم الانتهاء من تفسير سورة غافر و لله الحمد و المنة

.....

41-سورة فصلت- مكية - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ① تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ② كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③
 بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ④ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ
 فِي إِذَانِنَا وَقُرْ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ⑤ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ
 أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ^{وَوَيْلٌ} لِلْمُشْرِكِينَ ⑥ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
 وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ⑦ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑧
 ✨ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ^{أَنْدَادًا} أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ⑨
 وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ⑩
 ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ⑪

القرآن و مهمته 4-1

حَمْدٌ ① يخبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل و القرآن الجميل

(تَنْزِيلٌ) صادر (مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الذي وسعت رحمته كل شيء

الذي من أعظم رحمته و أجله —:

إنزال هذا الكتاب

الذي حصل به من —

العلم و الهدى و النور و الشفاء و الرحمة و الخير الكثير

ما هو من أجل نعمه على العباد و هو الطريق للسعادة في الدارين.

* كَقَوْلِهِ {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ [النحل: 102] وَ قَوْلِهِ:-

{وَأَنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 19 نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ 19 عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ [الشعراء] 2

* ثم أثنى على الكتاب بتمام البيان فقال:- (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) بُيِّنَتْ مَعَانِيهِ وَ أُحْكِمَتْ أَحْكَامُهُ

* أى: فصل كل شيء من أنواعه على حدته و هذا يستلزم البيان التام و التفريق بين كل شيء و تمييز الحقائق.

(قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) أى: باللغة الفصحى أكمل اللغات فصلت آياته و جعل عربيًّا.

* فَمَعَانِيهِ مُفَصَّلَةٌ وَ أَلْفَاظُهُ وَاضِحَةٌ غَيْرُ مُشْكِلَةٍ كَقَوْلِهِ:

{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [هود: 1]

أى: هُوَ مُعْجَزٌ مِنْ حَيْثُ لَفْظُهُ وَ مَعْنَاهُ

{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [فصلت: 42]

(لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) لأجل أن يتبين لهم معناه كما تبين لفظه و يتضح لهم الهدى من الضلال و الغي من الرشاد.

و أما الجاهلون:- الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالا و لا البيان إلا عمى:-

فهؤلاء لم يسقِ الكلام لأجلهم (سَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) 3

(بَشِيرًا) بالثواب العاجل و الآجل

(وَنَذِيرًا) بالعقاب العاجل و الآجل و ذكر تفصيلهما

و ذكر الأسباب و الأوصاف التي تحصل بها البشارة و النذارة و هذه الأوصاف للكتاب مما يوجب أن يتلقى بالقبول الإذعان و الإيمان و العمل به

(فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ) و لكن أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين

(فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) له سماع قبول و إجابة. و إن كانوا قد سمعوه سماعاً تقوم عليهم به الحجة الشرعية 4

(وَقَالُوا) هؤلاء المعرضون عنه مبينين عدم انتفاعهم به بسد الأبواب الموصلة إليه:

(قُلُوبُنَا فِي أَكْتَفٍ) أعطية مغشاة

موقف المشركين من القرآن و جزاء المؤمنين 5-8

(مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) صمم فلا نسمع لك

(وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) فلا نراك.

القصد من ذلك أنهم أظهروا الإعراض عنه من كل وجه و أظهروا بغضه و الرضا بما هم عليه

و لهذا قالوا: (فَاعْمَلْ) أَنْتَ عَلَى طَرِيقَتِكَ لآنك رضيت بالعمل بدينك

(إِنَّا) نَحْنُ (عَامِلُونَ) عَلَى طَرِيقَتِنَا لَا نَتَابِعُكَ فَإِنَّا راضون كل الرضا بالعمل في ديننا

و هذا من أعظم الخذلان حيث رضوا بالضلال عن الهدى و استبدلوا الكفر بالإيمان و باعوا الآخرة بالدنيا 5

(قُلْ) لهم يا أيها النبي:- (إِنَّمَا) هذه صفتي و وظيفتي

(أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) ليس بيدي من الأمر شيء و لا عندي ما تستعجلون به

(يُوحَى إِلَيَّ) و إنما فضلني الله عليكم و ميزني و خصني بالوحي الذي أوحاه إليّ و أمرني باتباعه و دعوتكم إليه

(أَنَّمَا إِلَهُكُمُ) لَا كَمَا تَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الْأَنْدَادِ وَ الْأَرْبَابِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِنَّمَا اللَّهُ (إِلَهُ وَاحِدٌ)

(فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) أى:- اسلكوا الصراط الموصل إلى الله تعالى —:-

1- تصديق الخبر الذي أخبر به

2- و اتباع الأمر

3- واجتناب النهى

هذه حقيقة الاستقامة ثم الدوام على ذلك

و فى قوله: (إِيَّاهُ) تنبيه على الإخلاص-و أن العامل ينبغى له أن يجعل مقصوده و غايته التى يعمل لأجلها الوصول إلى الله و إلى دار كرامته فبذلك يكون عمله خالصًا صالحًا نافعًا و بفواته يكون عمله باطلاً
* و لما كان العبد - و لو حرص على الاستقامة- لا بد أن يحصل منه خلل بتقصير بمأمور أو ارتكاب منهى أمره بدواء ذلك بالاستغفار المتضمن للتوبة فقال:-

(وَأَسْتَغْفِرُهُ) ثم تَوَّعَد من ترك الاستقامة فقال:-

(وَوَيْلٌ) دمار و هلاك (لِّلْمُشْرِكِينَ) 6

(الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) أى: لَا يَدِينُونَ بِالزَّكَاةِ-يَمْنَعُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ.

*أى:الذين عبدوا من دونه من لا يملك نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا و دنسوا أنفسهم :-

فلم يزكوها بتوحيد ربهم و الإخلاص له و لم يصلوا و لا زكوا

* فلا إخلاص للخالق بالتوحيد و الصلاة و لا نفع للخلق بالزكاة و غيرها.

* وَ الْمُرَادُ بِالزَّكَاةِ هَاهُنَا: طَهَارَةُ النَّفْسِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ

* وَ مِنْ أَهَمِّ ذَلِكَ طَهَارَةُ النَّفْسِ مِنَ الشَّرِّكَ.

* وَ زَكَاةُ الْمَالِ إِنَّمَا سُمِّيَتْ زَكَاةً لِأَنَّهَا تُطَهِّرُهُ مِنَ الْحَرَامِ وَ تَكُونُ سَبَبًا لِّزِيَادَتِهِ وَ بَرَكَهِ وَ كَثْرَةِ نَفْعِهِ وَ تَوْفِيقًا إِلَى اسْتِعْمَالِهِ فِي الطَّاعَاتِ.

(وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) لا يؤمنون بالبعث و لا بالجنة و النار هَوْلِهِ: {مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا} [الكهف: 3]

وَ كَهْوْلِهِ تَعَالَى {عِظَاءٌ غَيْرَ مُجْدُوذٍ} [هود: 108]

فلذلك لما زال الخوف من قلوبهم أقدموا على ما أقدموا عليه مما يضرهم في الآخرة 7

* و لما ذكر الكافرين ذكر المؤمنين و وصفهم و جزاءهم فقال:- (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

بهذا الكتاب و ما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان

و صدقوا إيمانهم بـ: -الأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص و المتابعة.

(لَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ)

(غَيْرَ مَمْنُونٍ)

غير مقطوع و لا نافذ بل هو مستمر مدى الأوقات متزايد على الساعات مشتمل على جميع اللذات 8

❖ قُلْ أَبِئْسَ كُفْرُكُمْ لَتَكْفُرُونَ) ينكر تعالى و يعجب من كفر الكافرين به

(بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ) الكثيفة العظيمة دحاها

من ادلة وجود الله و قدرته وقصة الخلق 9-12

(فِي يَوْمَيْنِ) يَوْمَ الْأَحَدِ وَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ.

(وَيَجْعَلُونَ لَهُمْ أَنْدَادًا) نُظَرَاءَ وَ أَمْثَالًا تَعْبُدُونَهَا مَعَهُ

*يشركونهم معه و يبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم و يسوونهم بالرب العظيم الملك الكريم

(ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ. وَ هَذَا الْمَكْنُ فِيهِ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

{خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الأعراف: 54] 9

فَفَصَّلَ هَاهُنَا مَا يَخْتَصُّ بِالْأَرْضِ مِمَّا اخْتَصَّ بِالسَّمَاءِ فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ أَوَّلًا لِأَنَّهَا كَالْأَسَاسِ وَ الْأَصْلُ أَنْ يُبْدَأَ بِالْأَسَاسِ ثُمَّ بَعْدَهُ بِالسَّقْفِ كَمَا قَالَ:

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} [البقرة: 29] بِأَنْ

(وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا) ترسيها عن الزوال و التزلزل وعدم الاستقرار.

(وَبَرَكَّ فِيهَا) فكمّل خلقها و دحاها و أخرج أقواتها و توابع ذلك- جَعَلَهَا مُبَارَكَةً قَابِلَةً لِلْخَيْرِ وَ الْبَذْرِ وَ الْغِرَاسِ

(وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) مَا يَحْتَاجُ أَهْلُهَا إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَ الْأَمَاجِنِ الَّتِي تُزْرَعُ وَ تُغْرَسُ يَعْنِي:-

يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَ الْأَرْبَعَاءِ فَهُمَا مَعَ الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَرْبَعَةٌ

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:- (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً) عن ذلك

فلا يبيّنك مثل خبير فهذا الخبر الصادق الذي لا زيادة فيه و لا نقص.

(لِلنَّاسِ لِيَنبَأَ) لِمَنْ أَرَادَ السُّؤَالَ عَنْ ذَلِكَ لِيَعْلَمَهُ.

وَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَنبَأَ عَلَى وَفْقِ مُرَادٍ مَنْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى رِزْقٍ أَوْ حَاجَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ لَهُ مَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. وَ هَذَا الْقَوْلُ يُشَبِّهُ مَا ذَكَرُوهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ}

[إبراهيم: 34] 10

(ثُمَّ) بعد أن خلق الأرض (اسْتَوَى) قصد (إِلَى) خلق

(السَّمَاءَ وَهِيَ دُخَانٌ) قد ثار على وجه الماء- بُخَارُ الْمَاءِ الْمُتَصَاعِدِ مِنْهُ حِينَ خُلِقَتِ الْأَرْضُ

(فَقَالَ لَهَا) و لما كان هذا التخصيص يوهّم الاختصاص عطف عليه بقوله:

(وَلِلْأَرْضِ أَنْتَبَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) انقادا لأمرى طائعتين أو مكرهتين فلا بد من نفوذه.

* قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْسَّمَوَاتِ:- أَطْلِعِي شَمْسِي وَ قَمَرِي وَ نُجُومِي.

وَ قَالَ لِلْأَرْضِ: شَقِّقِي أَنْهَارَكَ وَ أَخْرِجِي ثَمَّارَكَ.

فـ (قَالَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) ليس لنا إرادة تخالف إرادتك.

*بَلْ نَسْتَجِيبُ لَكَ مُطِيعِينَ مِمَّا فِينَا مِمَّا تُرِيدُ خَلْقَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ جَمِيعًا مُطِيعِينَ لَكَ.
حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ قَالَ: -وَقِيلَ: تَنْزِيلًا لَهُنَّ مُعَامَلَةً مَنْ يَعْقِلُ بِكَلَامِهِمَا.
*قَالَا قَوْلُهُ: {ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضَحَاهَا وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا
أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالُ أُرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} [النَّازِعَاتِ: 27-33]

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ دَحَى الْأَرْضِ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ فَالدَّحَى هُوَ مُفَسَّرٌ بِقَوْلِهِ: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا}
وَكَانَ هَذَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ قَالَا خَلَقَ الْأَرْضَ فَقَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ بِالنَّصِّ
وَبِهَذَا أَجَابَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيهِمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ صَحِيحِهِ فَإِنَّهُ قَالَ:
*الْبُخَارِيُّ وَقَالَ الْمِنْهَالُ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ:

قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَى
قَالَ: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: 101] {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصافات: 27]

{وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: 42] {وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: 23] فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟

وَقَالَ: {أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا} [النَّازِعَاتِ: 27] إِلَى قَوْلِهِ: {دَحَاهَا} [النَّازِعَاتِ: 30]

فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْضِ

ثُمَّ قَالَ: {أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت: 9] إِلَى قَوْلِهِ: {طَائِعِينَ} [فصلت: 11]
فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟

وَقَالَ: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 96] {عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 56] {سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: 58] فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى؟

فَقَالَ: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ} [المؤمنون: 101]: " فِي النَّفْخَةِ الْأُولَى

ثُمَّ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ: {فَصُوعِقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ

فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَ لَا يَتَسَاءَلُونَ ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ {أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصافات: 27]

وَأَمَّا قَوْلُهُ: {مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: 23] {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: 42]

فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولْ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ
فَخْتَمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ فَتَنَطَّقُ أَيْدِيهِمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُكْتَمُ حَدِيثًا

وَ عِنْدَهُ: {يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [البقرة: 105] الْآيَةِ

وَ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ
وَ دَحَوَهَا: -أَنَّ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَ الْمَرْعَى وَ خَلَقَ الْجِبَالَ وَ الْجِمَالَ وَ الْآكَامَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ

فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {دَحَاهَا} [النَّازِعَاتِ: 30].

وَ قَوْلُهُ: {خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت: 9] فَجَعَلَتِ الْأَرْضَ وَ مَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ

وَ خَلَقَتِ السَّمَوَاتِ فِي يَوْمَيْنِ

{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 96]

سَمَى نَفْسَهُ ذَلِكَ وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ فَلَا يَخْتَلِفُ
عَلَيْكَ الْقُرْآنُ فَإِنَّ كَلَامًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُتَيْسَةَ

عَنِ الْمُنْهَالِ بِهَذَا وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [فصلت: 8]: «مَحْسُوبٍ»

{أَقْوَاتُهَا} [فصلت: 10]: «أَرْزَاقُهَا» {فِي كُلِّ سَاءٍ أَمْرُهَا} [فصلت: 12]: «مِمَّا أَمَرَ بِهِ»

{نَحِيسَاتٍ} [فصلت: 16]: «مَشَائِمٍ»

{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ} [فصلت: 25]: «قَرَنَّاَهُمْ بِهِمْ»

{تَنْزِيلٌ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} [فصلت: 30]: «عِنْدَ الْمَوْتِ»

{اهْتَزَّتْ} [الحج: 5]: «بِالنَّبَاتِ» {وَرَبَّتْ} [الحج: 5]: «ارْتَفَعَتْ» {مِنْ أَكْصَامِهَا} [فصلت: 47]: «حِينَ تَطْلُعُ»

{لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} [فصلت: 50]: «أَيُّ بَعْمَلِي أَنَا مَحْقُوقٌ بِهَذَا»

وَقَالَ غَيْرُهُ: {سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ} [فصلت: 10]: «قَدَّرَهَا سَوَاءً»

{فَهَدَيْنَاهُمْ} [فصلت: 17]: دَلَّلْنَاهُمْ عَلَى الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ كَقَوْلِهِ: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البعد: 10]

وَقَوْلِهِ: {هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ} [الإنسان: 3]-: وَ الْهُدَى الَّذِي هُوَ الْإِرْشَادُ مِمَّنْزِلَةِ أَصْعَدْنَاهُ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَى} [الأنعام: 90] {يُوزَعُونَ} [النمل: 17]: يُكْفُونُ

{مِنْ أَكْصَامِهَا} [فصلت: 47]: قِشْرُ الْكُفْرَى هِيَ الْكُمُ "

وَقَالَ غَيْرُهُ: "وَيُقَالُ لِلْعَنْبِ إِذَا خَرَجَ أَيْضًا كَافُورٌ وَ كُفْرَى

{وَلِيٍّ حَمِيمٍ} [فصلت: 34]: الْقَرِيبُ {مِنْ نَحِيصٍ} [إبراهيم: 21]: حَاصٌّ عَنْهُ أَيْ حَادَ

{مِرْيَةٍ} [هود: 17]: وَ مِرْيَةٌ وَاحِدٌ أَيْ امْتِرَاءٌ

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} [فصلت: 40]: «هِيَ وَعِيدٌ»

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [المؤمنون: 96]:

«الصَّبْرُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَ الْعَفْوُ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ فَإِذَا فَعَلُوهُ عَصَمَهُمُ اللَّهُ وَ خَضَعَ لَهُمْ عَدُوَّهُمْ»

{كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: 34] 11

.....

فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُنَّ ^٤وَزَيْنًا ^٥السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ^٦
 ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾
 إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
 فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً
 أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
 صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ
 ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
 ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾
 حَقٌّ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

(فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) فتم خلق السماوات و الأرض في ستة أيام:-

أولها يوم الأحد و آخرها يوم الجمعة

مع أن قدرة الله و مشيئته صالحة لخلق الجميع في لحظة واحدة و لكن مع أنه قدير فهو حكيم رفيق
 فمن حكمته و رفيقه أن جعل خلقها في هذه المدة المقدرة.

و اعلم أن ظاهر هذه الآية مع قوله تعالى ففى النزاعات لما ذكر خلق السماوات قال:- (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)
 يظهر منهما التعارض مع أن كتاب الله لا تعارض فيه ولا اختلاف.

و الجواب عن ذلك:- ما قاله كثير من السلف أن خلق الأرض و صورتها متقدم على خلق السماوات كما هنا
 و دحي الأرض بأن (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا* وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النزاعات
 و لهذا قال فيها: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا* أَخْرَجَ مِنْهَا) إلى آخره و لم يقل: « وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ خَلَقَهَا »

و قوله: (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُنَّ) الأمر و التدبير اللائق بها الذى اقتضته حكمة أحكم الحاكمين.

(وَزَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ) هى النجوم:-

1- يستنار بها و يهتدى

2- و تكون زينة و جمالا للسماء ظاهراً و جمالا لها

3- بساطنا بجعلها رجوماً للشياطين لئلا يسترق السمع فيها.

(وَحَفِظْنَا) المذكور من الأرض و ما فيها و السماء و ما فيها

(ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) الذي عزته قهر بها الأشياء و دبرها و خلق بها المخلوقات.

(الْعَلِيمِ) الذي أحاط علمه بالمخلوقات الغائب و الشاهد 12

*فَتَرَكُ الْمُشْرِكِينَ الْإِخْلَاصَ لِهَذَا الرَّبِّ الْعَظِيمِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الَّذِي انْقَادَتِ الْمَخْلُوقَاتُ لِأَمْرِهِ وَ نَفَذَ فِيهَا قَدْرَهُ مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ وَ اتَّخَذَهُمْ لَهُ أُنْدَادًا يَسُوونَهُمْ بِهِ وَ هُمْ نَاقِصُونَ فِي أَوْصَافِهِمْ وَ أَعْمَالِهِمْ أَعْجَبُ وَ أَعْجَبُ وَ لَا دَوَاءَ لَهُؤُلَاءِ إِنْ اسْتَمَرَّ إِعْرَاضُهُمْ إِلَّا الْعُقُوبَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَ الْآخِرِيَّةُ فَلِهَذَا خَوْفُهُمْ بِقَوْلِهِ:

(فَإِنْ أَعْرَضُوا) أى هؤلاء المكذبون بعد ما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة و من صفات الإله العظيم

تهديد المشركين بمثل عاقبة عاد و ثمود 13-18

(فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَعِقَةً) عذابًا يستأصلكم و يجتاحكم

(مِثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ) القبيلتين المعروفتين وَ مَنْ شَاكَلَهُمَا مِمَّنْ فَعَلَ كَفَعْلِهِمَا.

حيث اجتاحتهم العذاب و حل عليهم وبيل العقاب و ذلك بظلمهم و كفرهم.

{إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ} [الْأَحْقَافِ: 21]

كَهَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذْ كُنَّا أَهْلًا عَادٍ إِذْ أَنْذَرْنَاهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التُّدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} [الْأَحْقَافِ: 21] أي: في القرى المجاورة لبلادهم بعث الله إليهم الرسل يأمرُونَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ رَأَوْا مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ مِنَ النَّقْمِ وَ مَا أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ النِّعَمِ

وَ مَعَ هَذَا مَا آمَنُوا وَ لَا صَدَّقُوا بَلْ كَذَّبُوا وَ جَحَدُوا 13

(إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) يتبع بعضهم بعضا متوالين و دعوتهم جميعا واحدة.

(أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) يأمرونهم بالإخلاص لله و ينهونهم عن الشرك فردوا رسالتهم و كذبوهم

(قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً) و أما أنتم فبشر مثلنا - لَوْ أَرْسَلَ اللَّهُ رُسُلًا لَكَانُوا مَلَائِكَةً مِنْ عِنْدِهِ

(فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) أيها البشرُ

(كَافِرُونَ) لَا نَتَّبِعُكُمْ وَ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا.

و هذه الشبهة لم تزل متوارثة بين المكذبين من الأمم و هي من أوهى الشُّبُهَةِ فإنه ليس من شرط الإرسال أن يكون المرسل ملكًا

*و إنما شرط الرسالة أن يأتيه الرسول بما يدل على صدقه فَلْيَقْدَحُوا إِنْ اسْتَطَاعُوا بِصَدَقِهِمْ بِقَادِحِ عَقْلِي أَوْ شَرَعِي وَ لَنْ يَسْتَطِيعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

*مصنف ابن أبي شيبة 36560 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسَّحْرِ وَ الْكَهَانَةِ وَ الشَّعْرِ

فَلَيَاتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتْ أَمْرَنَا وَعَابَ دِينَنَا فَلْيُكَلِّمُهُ وَ لِيَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فَقَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ فَقَالَ:-

يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ:- أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:- إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبْدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَهَا وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلِّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ

إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْكَ فَرَقَّتْ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتْ أَمْرَنَا وَ عِبْتَ دِينَنَا وَ فَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا وَ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا وَاللَّهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَى أَنْ يَقُولَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانِيَ أَيُّهَا الرَّجُلُ

إِنْ كَانَ إِثْمًا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرِ أَى نِسَاءِ قُرَيْشٍ وَ نَزُوجِكَ عَشْرًا وَإِنْ كَانَ إِثْمًا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلًا وَاحِدًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَرَعْتَ؟

قَالَ: نَعَمْ فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. (حم * تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) حَتَّى بَلَغَ

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: 13]

فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ مَا عِنْدَكَ غَيْرَ هَذَا؟

قَالَ: لَا فَارْجِعْ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟

قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنْكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ كَلَّمْتُهُ بِهِ فَقَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ؟

قَالَ: نَعَمْ قَالَ: لَا وَالَّذِي نَصَبَهَا بَيْنَهُ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ

قَالُوا: وَيَلَيْكَ يُكَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ لَا تَدْرِي مَا قَالَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ 14

(فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)

فكانوا - مع كفرهم بالله و جحدهم بآيات الله و كفرهم برسله - مستكبرين في الأرض

قاهرين لمن حولهم من العباد ظالمين لهم قد أعجبتهم قوتهم

(وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) قال تعالى ردًا عليهم بما يعرفه كل أحد: -

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)

فلولا خلقه إياهم لم يوجدوا فلو نظروا إلى هذه الحال نظرًا صحيحًا لم يغتروا بقوتهم فعاقبهم الله عقوبة تناسب قوتهم التي اغتروا بها

(وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) بلأدلتنا و حججنا

(يَجْحَدُونَ) 15

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) باردة شديدة عظيمة من قوتها و شدتها لها صوت مزعج كالرعد القاصف

وَ مِنْهُ سُمِّيَ النَّهْرُ الْمَشْهُورُ بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ "صَرْصَرًا" لِقُوَّةِ صَوْتِ جَرِيهِ.

*فسخرها الله عليهم (سَبَعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ

*لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَرْيَحُ صَرْصَرٌ عَائِيَةً} [الْحَاقَّةُ: 6]

(فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ) مُتَتَابِعَاتٍ

{سَبَعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} [الْحَاقَّةُ: 7] كَقَوْلِهِ {فِي يَوْمٍ نَخِيسُ مُسْتَمِرًّا} [الْقَمَرُ: 19]

أَي: ابْتَدِثُوا بِهَذَا الْعَذَابِ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ عَلَيْهِمْ وَاسْتَمَرَّ بِهِمْ هَذَا النَّحْسُ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ وَاتَّصَلَ بِهِمْ خِزْيُ الدُّنْيَا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ؛
*فدمرتهم و أهلكتهم فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم. و قال هنا:-

(لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الذي اختزوا به و افتضحوا بين الخليقة

(وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) لا يمنعون من عذاب الله و لا ينفعون أنفسهم 16

* و أما ثمود وهم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحجر و حواليه الذين أرسل الله إليهم صالحًا عليه السلام:-

يدعوهم إلى توحيد ربهم و ينهاهم عن الشرك و آتاهم الله الناقة آية عظيمة لها شرب و لهم شرب يوم معلوم يشربون لبنها يومًا و يشربون من الماء يومًا و ليسوا ينفقون عليها بل تأكل من أرض الله

قال هنا:- (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ) هداية بيان

و إنما نص عليهم و إن كان جميع الأمم المهلكة قد قامت عليهم الحجة و حصل لهم البيان لأن آية ثمود آية باهرة قد رآها صغيروهم و كبيرهم و ذكرهم و أنثاهم و كانت آية مبصرة فلهذا خصهم بزيادة البيان و الهدى

* و لكنهم -من ظلمهم و شرهم- (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى) -الذي هو الكفر و الضلال-

(عَلَى الْهَدَى) -الذي هو: العلم و الإيمان-

(فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ) وَ رَجْفَةً وَ ذُلًّا وَ هَوَانًا وَ عَذَابًا وَ نَكَالًا

(بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) لا ظلمًا من الله لهم 17

(وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ) أى نجى الله صالحًا عليه السلام ومن اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك والمعاصى 18

يخبر تعالى عن أعدائه الذين بارزوه بالكفر به و بآياته و تكذيب رسله و معاداتهم و محاربتهم و حالهم الشنيعة

عقوبة أعداء الله عند الحشر 19-29

(وَيَوْمَ يُحْشَرُ) يجمع (أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)

أى: يرد أولهم على آخرهم و يتبع آخرهم أولهم و يساقون إليها سوقا عنيفًا لا يستطيعون امتناعًا و لا ينصرون أنفسهم و لا هم ينصرون.

*تَجْمَعُ الرِّبَابِيَّةُ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَنُسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرْدًا} [مَرْيَمَ: 86] أَيْ: عِطَاشًا 19

(حَقَّقْ إِذَا مَا جَاءَ مَوْهَا) وُقِفُوا عليها- وردوا على النار

و أرادوا الإنكار أو أنكروا ما عملوه من المعاصي (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) عموم بعد خصوص.

(بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) شهد عليهم كل عضو من أعضائهم

فكل عضو يقول: أنا فعلت كذا و كذا يوم كذا و كذا

و خص هذه الأعضاء الثلاثة لأن أكثر الذنوب إنما تقع بها أو بسببها 20

تعريف المصابيح

هي السرج المنيرة المتلألأة المضيئة بذاتها و التي تمدنا بالضوء و الحرارة و هي النجوم المنتشرة في أرجاء الكون العظيم و هي مفاعلات نووية كروية الشكل بلازمية الحالة هائلة الكتلة عظيمة الحجم عالية الحرارة. و معظم عناصرها الهيدروجين و الهليوم ترصد مجتمعة بالمجرات كحشود نجمية ثنائية أو فردية أو أكثر متماسكة بقوة الجاذبية علي الرغم من بنائها البلازمي و تشع كلا من الضوء المرئي و غير المرئي بجميع موجاته و يمكن من خلال المطاييف دراسة ضوء النجم الواصل إلينا و التعرف على العديد من صفاته الطبيعية مثـل:-

درجة لمعانه. شدة إضاءته. درجة حرارته. حجمه. كتلته. موقعه منا. سرعة دورانه حول محوره .

و سرعة حركته . تركيبه الكيميائي . و مستوى التفاعلات النووية فيه الى غير ذلك من صفات فيزيائية. وقد أمكن تصنيف النجوم العادية على أساس درجة حرارة سطحها إلي نجوم حمراء 3200 (درجة مطلقة) وهي أقلها حرارة إلى نجوم برتقالية و صفراء و بيضاء مائلة إلي الصفرة و بيضاء و بيضاء مائلة إلى الزرقة و زرقاء 30000 درجة مطلقة و أشدها حرارة السوداء و تعد شمسنا من النجوم القزمة الصفراء متوسطة الحرارة إذ تبلغ درجة حرارة سطحها حوالي ستة آلاف درجة مطلقة. وعن المصابيح يقول الحق تبارك و تعالی:-

(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ يَوْمَ وَاوْحَىٰ كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) [فصلت، 12]

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ الَّيْ هُوَ أَظْهَرَ لَكُمْ آيَاتِهِ فَاصْلَحُوا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [الأنعام] 97

(وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) [النحل] 16 :

(وَلَقَدْ جَعَلْنَا السَّمَاءَ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) [الحجر] 16 :

مصابيح الكون:-

من المُسلَّم به أن الكون ملئ بالدخان والدخان به الغاز والتراب التي تشكل النجوم والتراب عبارة عن ذرات من الكربون والسيليكون

*و قد صورت كسدم و سحب منتشرة في جميع أرجاء الكون

و السدم هي أجنة لنجوم جديدة

و جميع علماء الفضاء يقررون أن الكون كان وما زال مليئاً بغاز حار ثم تبرد وأول ما تشكل منها هو النجوم.

و القرآن يقرر بأن السماء أو الكون كان دخاناً ثم زين الله السماء بالنجوم وسماها المصابيح كما ذكر الله

و تنتج الطاقة الهائلة في المصابيح بواسطة التفاعلات النووية وهي العملية التي يتم فيها اندماج نوى

ذرات الهيدروجين (أخف العناصر المعروفة) لتكون نوى الذرات الثقيل بالتدريج

و تنطلق الطاقة التي تزيد من درجة حرارة النجم حتي يتحول الى مايعرف باسم النجم المستعر Nova والعملاق الأحمر Red Giant

أو النجم العملاق الأعظم Supergiant

و فوق العملاق الأعظم Hypergaint

*و حينما يتحول قلب النجم المستعر إلى حديد تستهلك طاقة النجم و تتوقف عملية الاندماج النووي فيه و ينفجر النجم فيتحول إما إلي قزم ابيض أو إلى نجم نيوتروني أو الى ثقب اسود حسب كتلته الابتدائية فينكدر النجم أو يطمس ضوءه طمسا كاملا

*و عند انفجار النجوم تتناثر أشلاؤها و منها الحديد في صفحة السماء

{ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد } (الحديد: 25)

*الغالبية الساحقة من النجوم % 90 تتبع النجوم العادية التي تعرف باسم نجوم النسق الأساسي Main Sequence Stars و الباقي هي نجوم في مراحل الانكدار أوالطمس أو في مراحل الانفجار و التلاشي من مثل الأقزام البيضاء النجوم النيوترونية (النابضة و غير النابضة)

و الثقوب السوداء في المجموعة الأولى و العمالقة الحمراء و العمالقة العظام و النجوم المستعرة و فوق المستعرات في المجموعة الثانية

*و أكثر النجوم العادية لمعانها أعلى كثافة و بعضها يصل في كتلته إلى 350 مرة قدر كتلة الشمس وتشع قدر إشعاع الشمس ملايين المرات

.....

وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا لَوْلَا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِإِيَّاهُ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ
وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ إِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾
❖ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ
وَالْعَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَثْوَى الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾
ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

فإذا شهدت عليهم عاتبوها (وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ) هذا دليل على أن الشهادة تقع من كل عضو كما ذكرنا:-

(لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) ونحن ندافع عنكن؟

(قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ)

فليس في إمكاننا الامتناع عن الشهادة حين أنطقنا الذي لا يستعصى عن مشيئته أحد.

(وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) فكما خلقكم بدواتكم و أجسامكم خلق أيضا صفاتكم و من ذلك:- الإنطاق

(وَلِإِيَّاهُ تُرْجَعُونَ) في الآخرة فيجزىكم بما عملتم

و يحتمل أن المراد بذلك الاستدلال على البعث بالخلق الأول كما هو طريقة القرآن.

*مسلم (2969) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ:- كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ

فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

قَالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ يَقُولُ: بَلَى قَالَ: فَيَقُولُ:-

فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ: فَيَقُولُ:-

كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَ بِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهودًا قَالَ: فَيُخْتَمَ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ (جوارحه): انْطَوَى

قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ:-

بُعْدًا لَكِنَّ وَ سُحْقًا فَعَنْكَ كُنْتُ أَنَاضِلُ (أدافع و أجادل) 21

(وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) تختفون

(أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) عن شهادة أعضائكم عليكم و لا تحاذرون من ذلك.

(وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ) بإقدامكم على المعاصي

(أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) فلذلك صدر منكم ما صدر و هذا الظن صار سبب هلاكهم و شقائهم

*الصحيح المسند من أسباب النزول:- البخارى 4816 عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه

{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ} [فصلت: 22] الْآيَةُ

قَالَ: كَانَ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ وَ خَتَنُ (كل من كان من قبل المرأة كآبيها وأخيها فهو ختن ويطلق أيضا على زوج البنت والأخت) لهُمَا مِنْ ثَقِيفَ

(إحدى قبائل العرب وكانت تسكن الطائف) - أَوْ رَجُلَانِ مِنْ ثَقِيفَ وَ خَتَنُ لهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ - فِي بَيْتٍ

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتُرُونَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ حَدِيثَنَا؟ قَالَ: بَعْضُهُمْ يَسْمَعُ بَعْضُهُ

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْتَ كَانَ يَسْمَعُ بَعْضُهُ لَقَدْ يَسْمَعُ كُلُّهُ فَأَنْزَلَتْ:-

{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ} [فصلت: 22] الْآيَةُ

*البخارى 4817 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ:

اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَ ثَقَفِيٌّ - أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَ قُرَشِيٌّ - كَثِيرَةٌ شَحْمُ بَطُونِهِمْ قَلِيلَةٌ فَفَهُ قُلُوبُهُمْ

فَقَالَ أَحَدُهُمْ:- أَتُرُونَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الْآخَرُ:- يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَ لَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا

وَ قَالَ الْآخَرُ:- إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت: 22]

*وَ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ:

{أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} قَالَ:

إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ مُقَدَّمًا عَلَى أَقْوَاهِكُمْ بِالْفِدَامِ (مَا يُوَضَّعُ عَلَى الْقَمِّ سَدَادًا لَهُ وَمَا يَشُدُّ عَلَى قَمِّ الْإِبْرِيْقِ وَنَحْوَهُ لَتَصْفِيَةِ مَا فِيهِ)

فَأَوَّلُ شَيْءٍ يُبَيِّنُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ وَ كَفُّهُ 23

و لهذا قال:- (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ) الظن السيئ حيث ظننتم به ما لا يليق بجلاله

(أَرَدْتُمْ) أهلككم

(فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

لأنفسهم و أهليهم و أديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم

*فحقت عليكم كلمة العقاب و الشقاء و جب عليكم الخلود الدائم فى العذاب الذي لا يفتر عنهم ساعة.

*قَالَ مَعْمَرٌ: وَ تَلَا الْحَسَنُ: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ} ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

"قَالَ اللَّهُ أَنَا مَعَ عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّهِ بِي وَ أَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي (البخارى 7405)

ثُمَّ أَفْتَرَ الْحَسَنُ يَنْظُرُ فِي هَذَا فَقَالَ: أَلَا إِنَّمَا عَمَلُ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ ظُنُونِهِمْ بِرَبِّهِمْ

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَأَحْسَنَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلِ وَ أَمَّا الْكَافِرُ وَ الْمُنَافِقُ فَأَسَاءَ الظَّنِّ بِاللَّهِ فَأَسَاءَ الْعَمَلِ.

ثُمَّ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ}

إِلَى قَوْلِهِ: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} **23**

(**فَإِنْ يَصْبِرُوا**) فلا جلدَ عليها و لا صبر و كل حالة قُدِّرَ إمكان الصبر عليها فالنار لا يمكن الصبر عليها و كيف الصبر على نار قد اشتد حرها و زادت على نار الدنيا بسبعين ضعفاً و عظم غليان حميمها و زاد نتن صديدها و تضاعف برد زمهريرها و عظمت سلاسلها و أغلالها و كبرت مقامعها و غلظ خُرَّانها و زال ما في قلوبهم من رحمتهم * و ختام ذلك سخط الجبار و قوله لهم حين يدعونه و يستغيثون: - (**اُخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا**)

(**قَالَتِ النَّارُ مَتَوًى**) مأوى

(**لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا**) يطلبوا أن يزال عنهم العتب و يرجعوا إلى الدنيا ليستأنفوا العمل. * وَ هَذَا كَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنْهُمْ: { **قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ** } **106** رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ **107** قَالِ اُخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا [المؤمنون]

(**فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ**)

لأنه ذهب وقته و عمروا ما يعمر فيه من تذكر و جاءهم النذير و انقطعت حجتهم مع أن استعتابهم كذب منهم (**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**) **24**

(**وَقِضْنَا**) هيانا

(**لَهُمْ**) لهؤلاء الظالمين الجاحدين للحق

(**قُرْآنًا**) من الشياطين كما قال تعالى: -

(**أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا**) تزعجهم إلى المعاصي و تحثهم عليها بسبب ما زينوا

(**فَرَيْنُوا**) فرخرفوا (**لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**) أى الدنيا بأعينهم و دعوهم إلى لذاتها و شهواتها المحرمة حتى افتتنوا

(**وَمَا خَلَفَهُمْ**) من أمور الآخرة فأنسوهم ذكرها و دعوهم إلى التكذيب بالمعاد

فـ: -

1- **أَقْدَمُوا عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ**

2- **وَسَلَكُوا** ما شاءوا من محاربة الله و رسله

3- **وَالْآخِرَةَ** بَعْدُوهَا عليهم و أنسوهم ذكرها

4- **وَرَبَّمَا أَوْقَعُوا عَلَيْهِمُ الشُّبْهَ** بعدم وقوعها فترحل خوفها من قلوبهم فقادوهم إلى الكفر و البدع و المعاصي.

و هذا التسليط و التقييض من الله للمكذبين الشياطين بسبب :-

1- **إِعْرَاضَهُمْ** عن ذكر الله و آياته

2- و جحودهم الحق كما قال:-

(وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ 36 وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ) [الزخرف]
(وَحَقٌّ) (وجب و نزل) (عليهم)

(الْقَوْلُ) (القضاء و القدر بعذابهم-كلمة العذاب

(فِ) (جملة) (أَمْرٌ قَدْ خَلَتْ) (مضت) (مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْحَيِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ) (لأديانهم و آخرتهم
*و من خسر فلا بد أن يذل و يشقى و يعذب 25

*يخبر تعالى عن إعراض الكفار عن القرآن و تواصلهم بذلك فقال:-

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ)

أي:أعرضوا عنه بأسماعكم و إياكم أن تلتفتوا أو تصغوا إليه و لا إلى من جاء به
فإن اتفق أنكم سمعتموه أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه

ف—(وَالْفَوَافِيهِ) بِالْمُكَاةِ وَ الصَّفِيرِ وَ التَّخْلِيصِ فِي الْمَنْطِقِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ قُرَيْشٌ تَفَعَّلَهُ.
*أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه بل فيه المضرة و لا تمكنوا -مع قدرتكم- أحدًا يملك عليكم الكلام
به و تلاوة ألفاظه و معانيه

*هذا لسان حالهم و لسان مقالهم في الإعراض عن هذا القرآن

(لَعَلَّكُمْ) (إن فعلتم ذلك

(تَغْلِبُونَ) (و هذه شهادة من الأعداء و أوضح الحق ما شهدت به الأعداء

فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال:-

1-الإعراض عنه

2-و التواصل بذلك

و مفهوم كلامهم أنهم إن لم يلغوا فيه بل استمعوا إليه أذهانهم:-أنهم لا يغلبون
فإن الحق غالب غير مغلوب يعرف هذا أصحاب الحق و أعداؤه 26

*و لما كان هذا ظلمًا منهم وعنادًا لم يبق فيهم مطمع للهداية فلم يبق إلا عذابهم و نكالهم
*قَالَ تَعَالَى: مُنْتَصِرًا لِلْقُرْآنِ وَ مُنْتَقِمًا مِمَّنْ عَادَاهُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرَانِ

(فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا) فِي مُقَابَلَةِ مَا اعْتَمَدُوهُ فِي الْقُرْآنِ وَ عِنْدَ سَمَاعِهِ

(وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) (و هو الكفر و المعاصي

فإنها أسوأ ما كانوا يعملون لكونهم يعملون المعاصي و غيرها فالجزاء بالعقوبة إنما هو على عمل الشرك

(وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)

(ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ) الذين حاربوه و حاربوا أوليائه —:-

1-الكفر و التكذيب

2-و المجادلة و المجادلة.

(النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) الخلود الدائم الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة و لا هم ينصرون

و ذلك (جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْحَدُونَ) فإنها آيات واضحة و أدلة قاطعة مفيدة لليقين

فأعظم الظلم و أكبر العناد جحدوها و الكفر بها 28

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) الأتباع منهم بدليل ما بعده على وجه الحق على من أضلهم (و هم في النار):-

(رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا) من خلقك (مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ)

أى: الصنفين اللذين قادانا إلى الضلال و العذاب من شياطين الجن و شياطين الإنس الدعاة إلى جهنم.

*عن علي عليه السلام في قوله: {الَّذِينَ أَضَلَّانَا} قَالَ:-إِبْلِيسُ وَ ابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ.

(نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) الأذلين المهانين في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ

كما أضلونا و فتنونا و صاروا سبباً لنزولنا

*ففى هذا بيان حنق بعضهم على بعض و تبرئ بعضهم من بعض 29

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾
نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ
﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ دَفْعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
كَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ حِمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُوحَضٍ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَزْعَمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾
فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾

يخبر تعالى عن أوليائه و في ضمن ذلك:-

ثواب المستقيمين في الدارين 30-32

1- تنشيطهم

2- والحث على الاقتداء بهم

فقال:- (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) اعترفوا و نطقوا و رضوا بربوبية الله تعالى و استسلموا لأمره

(ثُمَّ اسْتَقَمُوا) على الصراط المستقيم علماً و عملاً فلهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة.

*مسلم (38) عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ:-

يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - قَالَ:- قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ "

(تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) الكرام أي: يتكرر نزولهم عليهم مبشرين لهم عند الاحتضار.

(أَلَّا تَخَافُوا) على ما يستقبل من أمرهم

(وَلَا تَحْزَنُوا) على ما مضى فنفوا عنهم المكروه الماضي و المستقبل

(وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) فإنها قد وجبت لكم و ثبتت و كان وعد الله مفعولاً 30

و يقولون لهم أيضاً- مثبتين لهم و مبشرين:-

(نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ) (قُرْنَاكُمْ)

(فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

- 1- يحثونهم في الدنيا على الخير و يزينونه لهم
- 2- و يرهبونهم عن الشر و يقبحونه في قلوبهم و يدعون الله لهم
- 3- و يشبتونهم عند المصائب و المخاوف
- 4- وَ نَحْفَظُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ

(وَفِي الْآخِرَةِ) كَذَلِكَ نَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ:-

- 1- و خصوصاً عند الموت و شدته
 - 2- نُؤْنِسُ مِنْكُمْ الْوَحْشَةَ فِي الْقُبُورِ (و ظلمة القبر)
 - 3- و في القيامة و أهوالها:- عِنْدَ النَّفْخَةِ فِي الصُّورِ
 - 4- وَ نُؤَمِّتُكُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ وَ النُّشُورِ
 - 5- وَ نَجَاوِزُ بِكُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
 - 6- وَ نُوصِلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ.
- و فى الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم و يدخلون عليهم من كل باب (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)

و يقولون لهم أيضا: (وَلَكُمْ فِيهَا) أى: فى الجنة

(مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ) قد أعد وهبى و مما تختارونه

(وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ) تطلبون من كل ما تتعلق به إرادتكم و تطلبونه من:-
أنواع اللذات و المشتبهات مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.
هذا الثواب الجزيل و النعيم المقيم 31

(نَزَّلَا) نزل و ضيافة

(مِنْ عَفْوَ) غفر لكم السيئات

(رَّحِيمٍ) حيث وفقكم لفعل الحسنات ثم قبلها منكم.

فبمغفرته أزال عنكم المحذور و برحمته أنالكم المطلوب 32

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا)

هذا استفهام بمعنى النفس المتقرر أى:- لا أحد أحسن قولاً أى:- كلاماً و طــــريقة و حالة

(مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ)

:-

1-تعليم الجاهلين

2-و وعظ الغافلين و المعرضين

3-و مجادلة المبطلين بالأمر بـ: -

عبادة الله بجميع أنواعها

و الحث عليها و تحسينها مهما أمكن

و الزجر عما نهى الله عنه

و تقيحه بكل طريق يوجب تركه خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام و تحسينه

4-و مجادلة أعدائه بالتى هى أحسن

5-و النهى عما يضاده من الكفر و الشرك

6-و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

7-تحبيبه إلى عباده بذلك:-

تفاصيل نعمه و سعة جوده و كمال رحمته

و ذكر أوصاف كماله و نعوت جلاله.

8-الترغيب في اقتباس العلم و الهدى من كتاب الله و سنة رسوله و الحث على ذلك بكل طريق موصل إليه

9- الحث على مكارم الأخلاق و الإحسان إلى عموم الخلق و مقابلة المسيء بالإحسان و الأمر بصلة

الأرحام و بر الوالدين.

10-الوعظ لعموم الناس في أوقات المواسم و العوارض و المصائب بما يناسب ذلك الحال

إلى غير ذلك مما لا تنحصر أفراده مما تشمله الدعوة إلى الخير كله و التهيب من جميع الشر.

ثم قال تعالى:- (وَعَمِلْ صَالِحًا) مع دعوته الخلق إلى الله بادر هو بنفسه إلى:-

امثال أمر الله بالعمل الصالح الذى يُرضى ربه

(وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) المنقادين لأمره السالكين في طريقه

و هذه المرتبة تمامها للصديقين:-

الذين عملوا على تكميل أنفسهم و تكميل غيرهم و حصلت لهم الوراثة التامة من الرسل

كما أن من أشر الناس قولاً من كان من دعاة الضالين السالكين لسبله.

*و بين هاتين المرتبتين المتباينتين اللتين ارتفعت إحدهما إلى أعلى عليين و نزلت الأخرى إلى أسفل سافلين

مراتب لا يعلمها إلا الله و كلها معمورة بالخلق (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) 33

(وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ)

لا يستوى فعل الحسنات و الطاعات لأجل رضا الله تعالى و لا فعل السيئات و المعاصي التي تسخطه و لا ترضيه

* و لا يستوى الإحسان إلى الخلق و لا الإساءة إليهم لا في ذاتها و لا في وصفها و لا في جزائها
(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)

ثم أمر بإحسان خاص له موقع كبير و هو الإحسان إلى من أساء إليك فقال:-

(أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ)

فإذا أساء إليك مسيء من الخلق خصوصًا من له حق كبير عليك كالأقارب و الأصحاب و نحوهم:-

إساءة بالقول أو بالفعل فقابله بـ:- الإحسان إليه

* فإن قطعك فصله

* و إن ظلمك فاعف عنه

* و إن تكلم فيك غائبًا أو حاضراً:-

فلا تقابله بل اعف عنه و عامله بالقول اللين.

* و إن هجرك و ترك خطابك فـ طيب له الكلام و ابدل له السلام

فإذا قابلت الإساءة بالإحسان حصل فائدة عظيمة.

* كَمَا قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه مَا عَاقَبْتُ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَيَكُ مِثْلِي أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ.

(فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) قويم شفيق.

* وَ هُوَ الصَّدِيقُ أَي:- إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ قَادَتْهُ تِلْكَ الْحَسَنَةُ إِلَيْهِ إِلَى مُصَافَاتِكَ وَ مَحَبَّتِكَ وَ الْحُنُوِّ

عَلَيْكَ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ لَكَ حَمِيمٌ أَي:- قَرِيبٌ إِلَيْكَ مِنَ الشَّفَقَةِ عَلَيْكَ وَ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ **34**

(وَمَا يُلْقِيهَا) ما يوفق لهذه الخصلة الحميدة

(إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) نفوسهم على ما تكره و أجبروها على ما يحبه الله

فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته و عدم العفو عنه فكيف بالإحسان؟

* فإذا :-

1- صبر الإنسان نفسه

2- و امثل أمر ربه

3- و عرف جزيل الثواب

4- و علم أن مقابله للمسيء بجنس عمله

(لا يفيد شيئا و لا يزيد العداوة إلا شدة)

5-و أن إحسانه إليه ليس بواضع قدره بل من تواضع لله رفعه:-

هان عليه الأمر و فعل ذلك متلذذاً مستحلياً له

(وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) لكونها من خصال خواص الخلق التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا

و الآخرة التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

* قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: -أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِـ: -

الصَّبْرِ عِنْدَ الْغَضَبِ

وَ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ

وَ الْعَفْوِ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ

فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ :-

عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ

وَ خَضَعَ لَهُمْ عَدُوَّهُمْ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ 35

* لما ذكر تعالى ما يقابل به العدو من الإنس و هو مقابلة إساءته بالإحسان ذكر ما يدفع به العدو الجنى

و هو الاستعاذة بالله و الاحتماء من شره فقال:-

(وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ)

أى وقت من الأوقات أحسست بشيء من نزغات الشيطان

أى: ————— ن:-

1-وساوسه

2-و تزينه للشر

3-و تكسيه عن الخير

4-و إصابة ببعض الذنوب

5-و إطاعة له ببعض ما يأمر

(فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) اسأله مفتقراً إليه أن يعيذك و يعصمك منه

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) فإنه يسمع قولك و تضرعوكو يعلم حالك و اضطرارك إلى عصمته و حمايته.

* إِنَّ شَيْطَانَ الْإِنْسِ رُبَّمَا يَنْخَدِعُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ

فَإِذَا شَيْطَانُ الْجَنِّ فَإِنَّهُ لَا حِيلَةَ فِيهِ إِذَا وَسَّوَسَ إِلَّا الْإِسْتِعَاذَةَ بِخَالِقِهِ الَّذِي سَلَطَهُ عَلَيْكَ

فَإِذَا اسْتَعَذْتَ بِاللَّهِ وَ لَجَأْتَ إِلَيْهِ كَفَّ عَنْكَ وَ رَدَّ كَيْدَهُ.

* أبي داود 775 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ

ثُمَّ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ وَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَ تَعَالَى جَدُّكَ وَ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ

ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثَلَاثًا ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا» ثَلَاثًا

«أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مَنْ هَمَزَهُو نَفَخَهُ وَ نَفَثَهُ»
وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِي "سُورَةِ الْأَعْرَافِ"

عِنْدَ قَوْلِهِ: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
[الأعراف: 200 199]

وَفِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ قَوْلِهِ: {-ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ
الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [المؤمنون: 96- 98] 36

من آيات قدرة الله 37-39

*ثم ذكر تعالى أن :- (وَمِنْ آيَاتِهِ)

الدالة على كمال قدرته و نفوذ مشيئته و سعة سلطانه و رحمته بعباده و أنه الله وحده لا شريك له

(الْيَلِ) هذا بمنفعه ظلمه و سكون الخلق فيه.

(وَالنَّهَارِ) هذا بمنفعة ضيائه و تصرف العباد فيه

(وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)

اللذان لا تستقيم معاش العباد و لا أبدانهم و لا أبدان حيواناتهم إلا بهما و بهما من المصالح ما لا يحصى
عدده.

(لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ) فإنهما مدبران مسخران مخلوقان.

(وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ)

اعبدوه وحده لأنه الخالق العظيم و دعوا عبادة ما سواه من المخلوقات و إن كبر جرمه و كثرت مصالحه
فإن ذلك ليس منه و إنما هو من خالقه تبارك وتعالى.

(إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) فخصوه بالعبادة و إخلاص الدين له 37

(فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا) عن عبادة الله تعالى و لم ينقادوا لها فإنهم لن يضرروا الله شيئاً و الله غنى عنهم و له عباد
مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون

و لهذا قال: (فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) أى الملائكة المقربين

(يَسْمِعُونَ لَهُمُ بِالْيَلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)

يملون من عبادته لقوتهم و شدة الداعى القوى منهم إلى ذلك 38

.....

وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ^{٤١} أَلَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا فَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقُولُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَلَيْسَ ءَلْأَعْجَمِيُّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ لَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مِّنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلَنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(وَمِنْ ءَايَاتِهِ) الدالة على كمال قدرته و انفراده بالملك و التدبير و الوجدانية

(أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) لا نبات فيها-مَيْتَةٌ

(فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ) أي:-المطر

(أَهْتَزَّتْ) تحركت بالنبات-دَبَّتْ فيها الحياة و تحركت بالنبات

(وَرَبَتْ) ثم:-أُنبتت من كل زوج بهيج فيحيي به العباد و البلاد-انتفخت و علت

كيف تربو هذه التربة الأرضية بإنزال الماء عليها؟

يتكون جزئ الماء من اتحاد ذرة أكسجين واحدة مع ذرتي أيديروجين برابطة قوية لا يسهل فكها* و تربط هذه الذرات مع بعضها البعض بشكل زاو له قطبية كهربية واضحة لأن كلا من ذرتي الإيدروجين يحمل شحنة موجبة نسبية و ذرة الأكسجين تحمل شحنة سالبة نسبية مما يجعل جزئ الماء غير تام التعادل كهربيا* و إلى هذه القطبية الكهربائية تعود صفات الماء المميزة له من مثل قدرته الفائقة على الإذابة **وعلى** التوتر السطحي* وشدة تلاحق جزيئاته مما يجعل له القدرة علي التسلق (الخاصية الشعرية) و على التكور في هيئة قطرات وعدم امتزاج محاليله امتزاجا كاملا.

* و الماء بهذه الصفات الطبيعية المميزة إذا نزل على تربة الأرض أدى إلى إثارتها كهربيا مما يجعلها تهتز و تتنفس و يزداد حجمها فتربو و تزداد و ذلك لأن تربة الأرض تتكون في غالبيتها من المعادن الصلصالية التي يؤدي تميوها الى اهتزاز مكونات التربة و زيادة حجمها و ارتفاعها الى أعلى حتى ترق رقة شديدة فتتشق مفسحة طريقا سهلا آمنا لسويقة (ريشة) النبتة الطرية الندية المنبتقة من داخل البذرة النابتة المدفونة بالتربة

(إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا) بعد موتها و همودها

(لَمْ يَحْيِ الْمَوْتَى) من قبورهم إلى يوم بعثهم و نشورهم

(إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فكما لم تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها لا تعجز عن إحياء الموتى 39

تهديد الملحدين 40-44

(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا)

الإلحاد في آيات الله:- الميل بها عن الصواب بأي وجه كان:-

إما بإنكارها و جحودها و تكذيب من جاء بها

و إما بتحريفها و تصريفها عن معناها الحقيقي و إثبات معان لها ما أرادها الله منها.

*فتوعد تعالى من ألحد فيها

(لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) فالله لا يخفى عليه بل هو مطلع على ظاهره و باطنه و سيجازيه على إلحاده بما كان يعمل

و لهذا قال:-

(أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ) مثل الملحدين بآيات الله

(خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ) من عذاب الله مستحقاً لثوابه؟ من المعلوم أن هذا خير.

*لما تبين الحق من الباطل الطريق المنجي من عذابه من الطريق المهلك قال:-

(أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)

إن شئتم فاسلكوا طريق الرشاد الموصلة إلى رضا ربكم و جنته

و إن شئتم فاسلكوا طريق الغي المسخطة لربكم الموصلة إلى دار الشقاء.

(إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يجازيكم بحسب أحوالكم و أعمالكم كقوله تعالى:-

(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) 40

ثم قال تعالى:- (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ)

يجحدون القرآن الكريم المذكور للعباد جميع مصالحهم الدينية و الدنيوية و الأخروية المُلغى لقدر من اتبعه

(لَمَّا جَاءَهُمْ) نعمة من ربهم على يد أفضل الخلق و أكملهم.

(و) الحال (وَأَنَّهُ لَكِنَّتُ) جامع لأوصاف الكمال

(عَزِيزٌ) منيع من كل من أرادته بتحريف أو سوء 41

و لهذا قال:- (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ)

لا يقربه شيطان من شياطين الإنس و الجن:-

لا بسـرقة

و لا يادخال ما ليس منه به

و لا بزيادة و لا نقص

فهو محفوظ في تنزيله محفوظة ألفاظه و معانيه

قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

(تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ) في خلقه و أمره يضع كل شيء موضعه و ينزله منزله.

(حَمِيدٌ) على ما له من

1-صفات الكمال

2-و نعوت الجلال

3-و على ما له من العدل و الإفضال

* فلهذا كان كتابه مشتملا على تمام الحكمة و على تحصيل المصالح و المنافع و دفع المفاسد و المضار التي

يحمد عليها 42

(مَا يُقَالُ لَكَ) أيها الرسول من الأقوال الصادرة ممن كذبك و عاندك

(إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ) من جنسها بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد

1-كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسول من دعوتهم إلى الإخلاص لله و عبادته وحده لا شريك له

2-و ردهم هذا بكل طريق يقدرُونَ عليه و قولهم:- (مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا)

3-و اقتراحهم على رسلهم الآيات التي لا يلزمهم الإتيان بها و نحو ذلك من أقوال أهل التكذيب

* لَمَّا تشابهت قلوبهم في الكفر تشابهت أقوالهم و صبر الرسل عليهم السلام على أذاهم و تكذيبهم

فاصبر كما صبر من قبلك

ثم دعاهم إلى التوبة و الإتيان بأسباب المغفرة و حذرهم من الاستمرار على الغي فقال:-

(إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) عظيمة يمحو بها كل ذنب لمن أقبل و تاب

(وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) لمن أصر و استكبر 43

(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا مَّجْمِيعًا لَفَلَّوْا)

* لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى الْقُرْآنَ وَ فَصَاحَتَهُ وَ بَلَغَتَهُ وَ إِحْكَامَهُ فِي لَفْظِهِ وَ مَعْنَاهُ وَ مَعَ هَذَا لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ الْمُشْرِكُونَ نَبَّهَ

عَلَى أَنَّ كُفْرَهُمْ بِهِ كُفْرٌ عِنَادٍ وَ تَعَنُّتٍ

كَمَا قَالَ: {وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِ 198 فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} [الشُّعْرَاءُ] .

*يخبر تعالى عن فضله و كرمه حيث أنزل كتابا عربياً على الرسول العربى بلسان قومه ليبين لهم

و هذا مما يوجب لهم:-

1-زيادة الاغتناء به

2-و التلقى له و التسليم

*و أنه لو جعله قرآنا أعجمياً بلغة غير العرب لاعترض المكذبون و قالوا:-

(لَوْلَا) هلا (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) بينت آياته و وضحت و فسرت

(أَعْجَمِي وَعَرَبِي) كيف يكون محمد عربياً و الكتاب أعجمي؟

هذا لا يكون فنفي الله تعالى كل أمر يكون فيه شبهة لأهل الباطل عن كتابه و وصفه بكل وصف يوجب لهم الانقياد

و لكن المؤمنون الموفقون انتفعوا به و ارتفعوا و غيرهم بالعكس من أحوالهم.

و لهذا قال: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى) لقلبه

*يهدىهم لطريق الرشد و الصراط المستقيم و يعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة

(وَشَفَاءٌ) لما في الصدور من:-

1-الشكوك و الريب

2-و شفاء لهم من الأسقام البدنية

3-و الأسقام القلبية

لأنه يزجر عن مساوى الأخلاق و أقبح الأعمال و يحث على التوبة النصوح التى تغسل الذنوب و تشفي القلب

(وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) بالقرآن

(فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ) صمم عن استماعه و إعراض

(وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) لا يبصرون به رشداً و لا يهتدون به و لا يزيدهم إلا ضلالاً

فإنهم إذا ردوا الحق ازدادوا عمى إلى عماهم و غياً إلى غيهم.

*لَا يَهْتَدُونَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ لِقَوْلِهِ {وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}

[الأنعام: 82]

(أَوَلَيْكَ يٰنَادُونَ) إلى الإيمان و يدعون إليه فلا يستجيبون بمنزلة الذى ينادى و هو (مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ)

لا يسمع داعياً و لا يجيب منادياً.

كَقَوْلِهِ {وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ} [البقرة: 171]

و المقصود: أن الذين لا يؤمنون بالقرآن لا ينتفعون بهداه و لا يبصرون بنوره و لا يستفيدون منه خيرًا لأنهم

سدوا على أنفسهم أبواب الهدى بإعراضهم و كفرهم **44**

يقول تعالى: (**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**) كما آتيناك الكتاب فصنع به الناس ما صنعوا معك

(**فَاخْتَلَفَ فِيهِ**) اختلفوا فيه:-

اختلاف الناس في التوراة 45-46

1- فمنهم من آمن به و اهتدى و انتفع

2- و منهم من كذبه و لم ينتفع به

* كُذِّبَ وَ أُوذِيَ { **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** } [الأخفاف: 35]

{ **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى** } [الشورى: 14] بتأخير الحِسَابِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ

و إن الله (**وَلَوْلَا**) حلمه و (**كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ**)

بتأخير العذاب إلى أجل مسمى لا يتقدم عليه و لا يتأخر

(**لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ**) لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِلًا

مجرد ما يتميز المؤمنون من الكافرين بإهلاك الكافرين في الحال لأن سبب الهلاك قد وجب و حق.

(**وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ**) قد بلغ بهم إلى الريب الذى يقلقهم فلذلك كذبوه و جحدوه.

* وَ مَا كَانَ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ عَنْ بَصِيرَةٍ مِنْهُمْ لِمَا قَالُوا بَلْ كَانُوا شَاكِّينَ فِيمَا قَالُوا غَيْرَ مُحَقِّقِينَ لَشَيْءٍ كَانُوا فِيهِ **45**

(**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا**) و هو العمل الذى أمر الله به و رسوله

(**فَلِنَفْسِهِ**) نفعه و ثوابه في الدنيا و الآخرة

(**وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**) ضرره و عقابه في الدنيا و الآخرة

و فى هذا حث:-

1- على فعل الخير

2- و ترك الشر

3- و انتفاع العاملين بأعمالهم الحسنة و ضررهم بأعمالهم السيئة و أنه لا تزر وازرة وزر أخرى.

(**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**) فيحمل أحدًا فوق سيئاتهم-

لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبٍ وَ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ وَ إِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ **46**